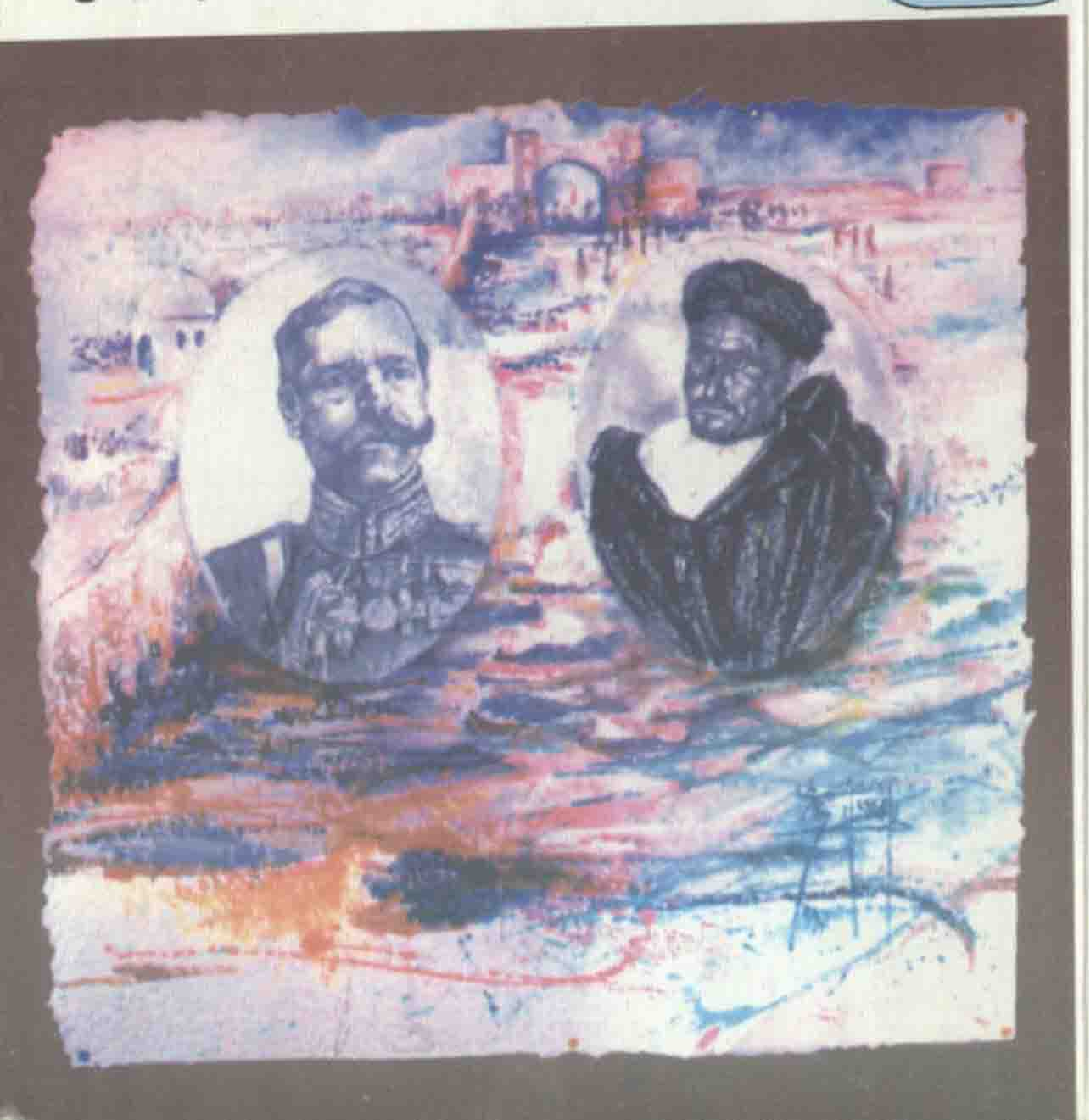
كتاب الشهر 22 سلسلة شراع

من أجل مجتمع مغربي قارئ

10 دراهم

# المقاومة الريفية

محمد خرشيش



# لوحة الغلاف

أعتذر لقراء سلسلة شراع ، وللأستاذ الفقيه البصري ، وللباحث الدكتور محمد خرشيش ، على إقحام إشارات سريعة قد تساعد في فهم وتحليل ماقدمته في لوحة غلاف هذا الكتاب القيم ، رغم صعوبة ما أشعر به في التعبير كتابة عما يطفح به عمل الريشة من دلالات ومعاني ، تتشكل من تلقاء الإنصهار بين مختلف عناصر مادة اللوحة من ألوان وخطوط وأشكال

لايخفى على متتبعي كتاب شراع الشهري أن لوحة غلاف هذا العدد هي الثانية التي تجعل من حرب الريف التحريرية بشكل عام ، ومن الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بوجه خاص ، موضوعا لها فقد خصصت الأولى لغلاف العدد 14 من السلسلة « عبد الكريم الخطابي والرأي العام العالمي » للإعلامي والباحث الطيب بوتبقالت ، وهي اللوحة التي استهدفت فيها على مستوى المضمون ، إبراز معاني البطولة ومايرتبط بها من زعامة وشجاعة في توجيه وقيادة الأتباع والمقاومين معتمداً تقنية الألوان المائية الشفافة والثقيلة فوق ورق مصنوع بالطريقة القديمة ، حيث تبدو البصمات معبرة بشكل أقوى من العفوية والبساطة التي تقرب المتلقي إنطباعيا من أجواء الكفاح والهِمّة الشامخة للبطل ورفاقه في المقاومة .

أما لوحة هذا العدد ، فتروم على مستوى المضمون ، طرح أهم وأشهر محطة في تاريخ المقاومة الريفية ، وهي التوثيق بالتشكيل لمعركة أنوال الخالدة ، حيث تَأتّى لبطل الكفاح تحقيق الغلبة بالتعويل على قوة الإيمان ، وحرارة الدفاع عن الأرض ، التي ألهمت فيالق الجهاد ، النصر المكين على جيش نظامي لدولتين إستعماريتين من أوربا

بعد أيام وأسابيع وشهور من المخاض ، كان التشكيل الأخير لهذه اللوحة ، حيث تظل كباقي أعمالي الأخرى مفتوحة على لمسات غير نهائية ، بحكم الخيال الجامع الذي يتملكني في التخطيط المسبق ، والذي غالباً مايباغتني بانفلات مجموعة من عناصر ذلك التخطيط الباطني  إن أي عمل داخل المرسم ، إلا ويكون قابلا للإضافة والتعديل والتوضيب ، نظرا لإحساسي بعدم التوصل إلى إنجاز الموضوع ،كما كنت أتصوره وأتمناه قبل الشروع في العمل.

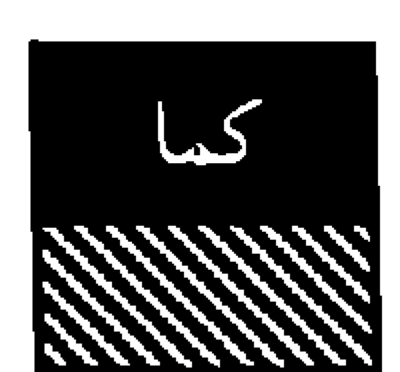
لقد اعتمدتُ في إنجاز لوحة هذا الغلاف على تقنيات مختلطة ، فكان الرسم بطريقتين  الكلاسيكي القديم بقلم الرصاص ، والإنطباعي بالفحم ومادة الصمغ  وبالمناسبة ، فإن هذه المادة الصلبة السائلة  تربطني بها علاقة حميمية في جميع أعمالي ؛ إذ تذكرني بأيام الطفولة أثناء مرحلة ( المسيد القرآنية )، وبذلك كانت أول مادة استعملتها في بداية مشواري الفني  أما عملية التلوين ، فقد جاءت بأسلوب الإنطباعية التعبيرية ، قصد فتح حوار فسيح مع المتلقي ، لتبقى على عاتقه مهمة الإكتشاف والقراءة الذوقية ، التي تظل مفتوحة ومنفتحة على دلالات وأبعاد مختلفة

**أحمد بن يسف**

« من أجل مجتمع مغربي قارئ »

« بطل المقاومة المغربية محمد بن عبد الكريم الخطابي ، الذي واجه " أول حرب كيميائية جوية في التاريخ " ، يُراد له اليوم قهراً أن يخلد إلى باحة النسيان . »

# إبن عبد الكريم .. مرة أخرى



في علم القراء ، فإن عدد 14 من كتب هذه السلسلة ( أبريل 1997 ) ، من تأليف الأستاذ الطيب بوتبقالت ، كان مخصصاً لأصداء حرب الريف التحريرية في الصحافة الدولية وبعد ذلك بسبعة أعداد نلتقي من جديد مع كتاب آخر للأستاذ محمد خرشيش حول نفس الحركة التي قادها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي ، والتي شكلت نموذجاً متميزاً في الحركات

# سلسلة شراع

كتاب شهري يصدر عن وكالة شراع
لخدمات الإعلام والاتصال

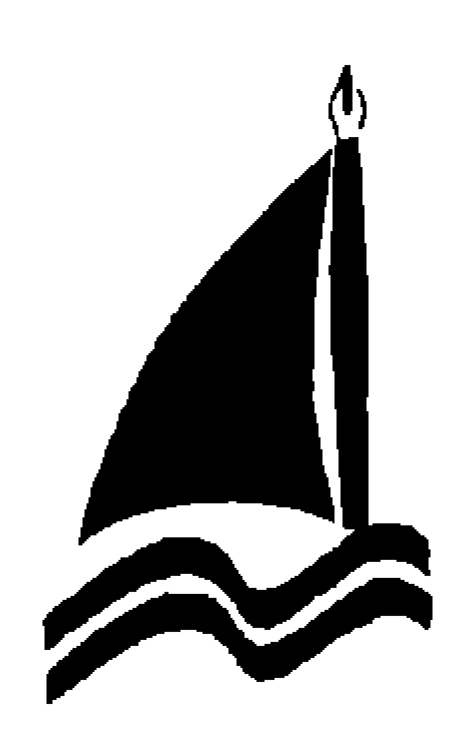
رئيس التحرير خالد مشبال
المستشار الفني أحمد بن يسف

---

مركز الإدارة
137 شارع ولي العهد ـ طنجة
الهاتف 94.42.12
37.39.27
الفاكس 94.42.16

العدد الثاني والعشرون : 30 رجب 1418 ـ ديسمبر 1997

# « شراع »



سلسلة شهرية لنشر ثقافة الإعلام

الثمن : 10 دراهم

التحررية لـــدى مجموعة من الشعوب المستعمرة ، لدرجة أصبحت معها كبريات المعاهد والأكاديميات العسكرية في أمريكيا وفرنسا وإسبانيا تُدرّس تكتيكاتها واستراتجياتها

إصرار وكالة شراع على إصدار كتاب ثان خاص بالمقاومة الريفية في أقل من سبعة أشهر على صدور الكتاب الأول ، وانتقائه من بين الكتب المقررة للنشر بإمكانها أن تدفع ( الشراع الشهري ) إلى ما بعد سنة 2000 ، ليس اعتباطا محكوما بمنطق المصادفة والإرتجال ، إنما هو اختيار تتضافر في إملائه قيم أخلاقية واجتماعية وثقافية تُعلي بالحرية والكرامة والإعتراف بالفضل ، وكل المعاني الإنسانية السامية

ـ أليس من سبيل آخر لتخليد رموزنا التاريخية غَير إطلاق أسمائها على الشوارع والأماكن ..؟!

إن بطل المقاومة المغربية الذي واجه أول حرب كيميائية جوية في التاريخ ، يُراد له اليوم قهراً أن يَخْلد إلى باحة النسيان ، بتجميد تراثه النضالي الذي تَعَرّف عليه العالم بمختلف لغاته ، وجعله مجرد إسم تشده المسامير على الجدران وإلا فلنبحث عما يسعفنا بهضم الحكم الصادر عن ابتدائية الحسيمة بتاريخ 24 يونيو الماضي ، والقاضي بحل

المؤسسة العلمية التي تحمل إسم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي للدراسات والأبحاث ولنُقنع ذواتنا قسراً بشذرات التأريخ الرسمي ، مستسيغين تغييب الجانب المشرق من نضال الشعب المغربي ضد الإستعمار ، بإبعاده وإقصائه عن المقررات والبرامج التعليمية والتربوية

* * *

في دراسة صدرت سنة 1990 لباحثين ألمانيين ، حول المساعدة الألمانية السرية التي تلقتها إسبانيا ، لتشغيل مصنع الغازات السامة بمليلية السليبة ( وهو الأول من نوعه في إفريقيا ) ، وحول مواجهة محمد بن عبد الكريم الخطابي لقنابل اللوست الكيميائية ، في الوقت الذي كانت تجري فيه مباحثات جنيف للتوقيع على بروتوكول 1925 ، القاضي بحظر استعمال الأسلحة الكيماوية يقف الباحثان عند بعض العراقيل التي واجهتهم بالنسبة للوثائق ، فيشكران المساعدات التي قدمتها لهما مجموعة من الجهات ( مصلحة الربائد العسكرية بفرايبورغ ، وزارة الشؤون الخارجية ببون ، متحف الحروب الإمبريالية بلندن

---

* ـ البحث الذي أنجزه كل من رودبيرت كونز و رولف ديتر مولر ( Rudibert Kunz / Rolf-Dieter Müller ) صدرت ترجمته العربية عن منشورات فيدباك في السنة الماضية

اللجنة الدولية للصليب الأحمر بجنيف ، البروفسور أنخيل بينياسي من وزارة الخارجية بمدريد ) وبالمقابل ، يذكران أنهما لم يتوصلا بأي معلومات من سفارة المملكة المغربية ببون

– قد نلتمس بعض الأعذار للسفارة في عجزها عن تخليص أبطال الذاكرة الجماعية و رموز الهوية الوطنية من قبضة مَن يريدون تحنيطها بالأمازيغية !!

لكن ، ماعساها أن تكون دلالات عمل الفنان الكبير أحمد بن يسف ، في توثيقه التشكيلي لبورتريهات وصور محمد بن عبد الكريم الخطابي ، وإصراره على جعل هذه اللوحات التوثيقية في مقدمة لوحات معارضه المرتقبة بألمانيا ودول أوربة أخ ؟ أ كور، سدا ( المهووس ) بجماليات الخطوط والألوان أقدر من ( السفارة ) على تبليغ الطابع الإنساني والكوني لبطولة ريفية مغربية ؟

في كل الأحوال لا يسعنا إلا أن نردد مع أحد رواد المقاومة الوطنية الفقيه محمد البصري قوله الذين حرصوا على حماية الذاكرة التاريخية من التحطيم ، سيعرفون كيف يقيمون مؤسسات ومعالم للأبطال الذين لازال الحاضر لم ينصفهم بما فيه الكفاية ●

***وكالة شراع**

# المقاومة الريفية

بقلم
محمد خرشيش



لوحة الغلاف
أحمد بن يسف

كتاب الشهر 22 سلسلة شراع

« ماهي الأهمية التي تمثلها قبيلة بني زروال بالنسبة للمصالح الفرنسية . ؟ »

# المواجهة الفرنسية الريفية

لقد اندلعت كما هو معلوم ، الحرب الفرنسية الريفية يوم 13 أبريل 1925 أي بعد مرور أربع سنوات تقريبا على معركة أنوال (21 يوليوز 1921 ) فهاته الفترة الطويلة نسبيا حافلة بالأحداث والتطورات التي تُقدم عناصر موضوعية ، وإشارات هامة ، ومعلومات مركزة حول الأسباب البعيدة والقريبة التي أدت في نهاية المطاف إلى التدخل الفعلي للقوات الفرنسية في الصراع العسكري المباشر إلى جانب الشركاء الإسبان ، الذين كانوا قد ذاقوا

الأمَرَّين ، ويئسوا من إمكانية إحراز تقدم في مواجهتهم مع المجاهدين الريفيين

كيف يمكن إذن ، تفسير التماطل الفرنسي في المشاركة المباشرة في حرب الريف إلى حدود 1925 ؟

أصبح الآن معروفا ، إنطلاقا من المعلومات القَيِّمة التي تقدمها لنا الوثائق الفرنسية و ( المغربية )[1] ، أن العلاقات بين الإدارة الفرنسية وقيادة المقاومة الريفية طيلة السنوات الأولى من حرب الريف كانت طيبة ، إن لم نقل جيدة ويظهر هذا جليا من خلال الزيارات المتعددة التي قام بها مبعوثون ريفيون إلى كل من فاس ، تاوريرت ، وجدة ، والجزائر والميتربول ( METROPOLE ) الفرنسي كما فتحت الحدود أمامهم لإقتناء ما كانوا يحتاجونه من مواد مختلفة

هاته الخاصية ترتبط ارتباطا وثيقا بالوضعية السياسية العامة للمغرب كبلد مقسم ومحتل من طرف قوتين استعماريتين فرنسا وإسبانيا ، أي أن العلاقات بين

1 ـ أعني بالوثائق الفرنسية الموجودة بوزارة الخارجية ( الوثائق الديبلوماسية ) والعسكرية بوزارة الدفاع ( Vincennes ) بباريس أما المغربية فالمقصود بها الوثائق التي استحوذ عليها الفرنسيون بعد نهاية حرب الريف والمصنفة بوزارة الخارجية الفرنسية ( Quai d'orsay ) تحت إسم : أوراق عبد الكريم Papiers D'Abdelkrim

الطرفين كانت جد متدهورة في هاته الفترة بسبب المشاكل المتفاقمة والنزاعات العالقة حول مصير منطقة طنجة ( Statut de Tanger ) ، والتصرفات الإسبانية ، التي كانت تعتبر غير مقبولة من طرف الفرنسيين أثناء الحرب العالمية الأولى بتشجيعهم " للعملاء الألمان ، وفي مقدمتهم عبد المالك بن محيي الدين

لكن هذا لا ينفي في شيء الطابع التكتيكي للتقارب الفرنسي الريفي ، خاصة وأن السلطات الفرنسية كانت مركزة إهتمامها إلى حدود نهاية سنة 1923 ، على المشاريع ذات الأولوية القصوى ، ويدخل في هذا الإطار إلى جانب المغرب النافع على حد تعبير ليوطي ( LYAUTEY ) ممر تازة الذي كانت أهميته بالغة ، لضمان الإتصال مع المغرب الشرقي والجزائر ، وعلى المدى المتوسط منع كل إتصال بين المقاومة الريفية والمجاهدين في الأطلس المتو عامة ، وبني وراين خاصة

فكيف تعاملت السلطات الفرنسية مع الواقع السياسى الجديد الذي تبلور بعد معركة أنوال ؟

## ● التركيز على العمل السياسي للحد من تأثير المقاومة الريفية المتزايد في قبائل ورغة

إنطلاقا من سنة 1922 أصبحت المقاومة الريفية تحظى

بتأييد وعطف قبائل ورغة مما دفع بمحمد بن عبد الكريم الخطابي إلى إرسال مبعوثين للمنطقة ، وعلى رأسهم أخوه امحمد ، للتأكد من متانة الشعبية التي كان يتمتع بها الزعيم الريفي ، واستعداد هذه الأخيرة أو على الأقل قسم هام منها ، للإنضمام إلى حركة مقاومة المستعمر وقد حققت هاته الحملات الإستقصائية هدفها المنشود ، بإعطاء الدعم الملموس والمعنوي للقبائل الحدودية ( بين المنطقتين الفرنسية والإسبانية ) ، بل أكثر من ذلك أبهرت إلى حد كبير السلطات الفرنسية ، وأقلقتهم في نفس الآن خاصة بجابنها الديناميكي الفعال ، وترتب عن ذلك إحراز تقارب مفاجئ في العلاقات بين ابن عبد الكريم واعمر ولد احميدو الذي تم تعيينه على رأس قبيلة مرنيسة

وتجدر الإشارة أن هذا التقارب كان ظرفيا ، لأن اعمر ولد احميدو ظل على إتصال مستمر بمصلحة المخابرات الفرنسية كما تؤكد ذلك التقارير الموجودة برياند وزارة الحرب الفرنسية ، ولم يقدم على هذا التقارب إلا لربح رهان التنافس الذي كان يجمعه مع أولاد يدري ولأنه

2 ـ قبيلة مرنيسة كانت إلى حد ما مقسمة من ناحية النفوذ إلى منطقتين قسيوة في الشمال وكانت تحت سيطرة اعمر ولد احميدو في حين كانت بني يحيى في الجنوب خاضعة لأولاد يدر .

كـان يشك في أن نهـاية الصـراع سـتكون لصـالح القـوات الموالية للمقاومة الريفية

لكن السلطات الفرنسـية لم تبق مكتوفة الأيدي وجاء رد فعلها على شكل حملات دعائيـة ضد المقاومة ورجالاتها سيقوم بتطبيقها حليفها في گزناية القائد المذبوح ، وسينضم إليـه فيـما بعـد اعـمر ولد احـميدو الذي لم يكن ينتظر إلا الضوء الأخضر من مسخريه للإلتحاق بركبهم

إن هاته الحملات التي قامت الإدارة الفرنسـية بإعدادها والتخطيط لها وقام بتنفيذها كل من القائد المذبوح واعمر ولد احميدو كان الغرض منها إيقاف الخطر الريفي والحفاظ على منطقة معزولة ، تحول دون إقامة اتصال مباشر بين قبائل المنطقتين الفرنسية والإسبانية

إن قيادة المقاومة الريفية التي كانت تتابع باهتمام بالغ تطورات الحالة السياسية بمنطقة ورغة ، ركزت في توجيه ردها على مستويين

## 1 ـ الرد العسكري

قامت المقاومة بشن هجومات في اتجاه قبائل ورغة وعلى رأسها مرنيسة وگزناية ، استطاعت بموجبها إعادة السيطرة على هاته المناطق بعد أن أجبر على الفرار إلى المنطقة

الفرنسية كل من اعمر ولد احميدو ، والقائد المذبوح في الأيام الأولى من شن العمليات العسكرية

## 2 ـ الرد السياسي أو الديبلوماسي

عمل محمد بن عبد الكريم الخطابي على إرسال رسالة احتجاج إلى الماريشال ليوطي ، ليؤكد له القناعة الراسخة لقادة المقاومة أن كل التحركات الدعائية التي قام بها القائد المذبوح كانت من وحي السلطات الفرنسية [3]

## ● إحتلال النقط الإستراتيجية على ضفاف نهر ورغة من طرف فرنسا

في بداية 1924 كانت الحالة العامة على الحدود بين المنطقتين الفرنسية والإسبانية تتميز بما يلي

أولا إن الفشل الذريع الذي لاحق حلفاء فرنسا ( القائد المذبوح اعمر ولد احميدو ) في مواجهاتهم العسكرية مع قوات المقاومة ، دفع بهؤلاء إلى اللجوء للمنطقة الفرنسية مما كان له أثر بالغ على معنوية سكان القبائل المجاورة بالرغم من مواصلة الشريف الدرقاوي لعدائه التقليدي لمحمد بن عبد الكريم

3 ـ هاته الرسالة الإحتجاجية أرسلها القائد حدو بن حمو إلى الماريشال ليوطي في 27 يناير 1924 وهي وموجودة في ربائد وزارة الخارجية الفرنسية ( Quai d'orsay )

ثانيا إن النشاط السياسي الذي كان يشكل حجر الزاوية للسياسة الفرنسية في الجبهة الشمالية ما بين ( 1921 ـ 1924 ) ، لم يعد كافيا لضمان المصالح الفرنسية الحيوية في المنطقة ، إضافة أن المشاريع التي كانت قد أعطيت لها الأولوية ، تم تنفيذها بنجاح خاصة في حدود أواخر سنة 1923

يمكن القول ، إذن ، إن التطورات التي عرفتها الوضعية في المناطق الحدودية ، والسمعة الحسنة والشهرة اللامعة التي أصبحت لقائد المقاومة لدى جل القبائل الجنوبية ( ورغة ) ، وخاصة لدى القبائل التي كانت تحت السيطرة الفرنسية كل هاته المعطيات الجديدة أخذت تقلق أكثر من أي وقت مضى السلطات الفرنسية ومنذ ذلك الحين لم يتوقف ليوطي عن إطلاع الحكومة على خطورة الموقف والإجراءات التي كان ينوي اتخاذها لمواجهة أو على الأقل عرقلة ، الدعاية الوطنية وكراهية الأجانب "[4] ، التي كانت قد زادت حدة ـ على حد تعبيره ـ في الشهور الأخيرة والتي يمكن أن تعمل على هدم كل ما تم بناؤه منذ سنوات

4-" Sa propagande nationaliste et Xénophobe

هاته الرسالة أرسلت من طرف ليوطي يوم 28 يناير 1924

من طرف السلطات الفرنسية

وفي هذا الإطار ، ركز الماريشال ليوطي ، في تقرير أرسله إلى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 13 فبراير 1924 ، على التأييد الشعبي الكبير الذي أصبح يحظى به محمد بن عبد الكريم الخطابي لدى مختلف القبائل المحاذية لنهر ورغة ، خاصة بعد الهزيمة الساحقة التي ألحقت بحلفاء فرنسا كما ألح على ضرورة إحتلال المرتفعات الإستراتيجية الواقعة على ضفاف نهر ورغة ، لتشكل مراكز متحركة (Poste mobiles) لمراقبة تحركات قوات المقاومة ولتكون سدا منيعا أمام أي هجوم مفاجئ من طرفها ، وتحول دون تجسيد الإتصال المباشر بين قبيلة بني وراين وابن عبد الكريم وبتاريخ 27 مارس من نفس السنة ، قام ليوطي بإرسال مبعوث رسمي إلى أجدير ، في شخص أحد أعيان مدينة فاس ، وكلّفه بإبلاغ ابن عبد الكريم عزم فرنسا على توسيع مجال نفوذها على النقط التي تدخل ضمن منطقتها

إن المسؤولين الريفيين الذين استقبلوا مبعوث الإدارة الفرنسية ، عبّروا عن رغبتهم في حل المشكل بالطرق السلمية ، واقترحوا فتح مفاوضات في هذا الشأن ، وبعد

ذلك عاد المبعوث مرة ثانية إلى الريف ليبلغ إبن عبد الكريم الإقتراح الفرنسي ، القاضي بإرسال مبعوث رسمي إلى فاس وهذا ما تم بالفعل يوم 9 ماي 1924 ، تاريخ وصول علي بن حدو ، المعروف بإسم علوش إلى فاس لشرح موقف قيادة المقاومة من المشروع الفرنسي والذي يمكن تلخيصه في نقطتين

أ ـ طالبت القيادة الريفية من الفرنسيين إعطاءها التوضيحات الكاملة حول حدود المنطقتين الفرنسية والإسبانية ، قبل الشروع في تنفيذ مشروع التقدم نحو المرتفعات الشمالية

ب ـ عَبَّرت عن استعدادها للإنسحاب من المناطق التي قد تكون تابعة لمنطقة النفوذ الفرنسية ، لكن شريطة أن تمنحها السلطات الفرنسية الوقت الكافي لإقناع القبائل بضرورة احترام قراراتها ، وتتم بدون عراقيل أو مشاكل قد تعود بالضرر على شعبية محمد بن عبد الكريم الخطابي في المنطقة

إلا أن السلطات الفرنسية التي كانت مصرة على تطبيق مشروعها في أقرب الآجال ، لم تكن تنتظر إلا الوقت المناسب ، ليتم ذلك بدون مواجهة مباشرة مع المجاهدين

الريفيين فاغتنمت فرصة احتدام المعارك الإسبانية الريفية بالجبهة الشرقية ، وبالضبط بمنطقة تفرسيت ، التي أدت إلى التحاق قسم وافر من المجاهدين بقبائلهم لتنفذ عملية تقدم قواتها نحو النقط الإستراتيجية لذلك عند عودة المبعوث الريفي إلى فاس لإبلاغ السلطات الإستعمارية الرد الرسمي للمقاومة كانت القوات الفرنسية قد أنهت مراحل تقدمها

إذن ، يتضح من خلال ما سبق ذكره ، أن المبادرة الفرنسية للدخول في اتصالات مباشرة مع محمد بن عبد الكريم ، لم يكن الغرض منها التوصل إلى إتفاق يرضي الطرفين بقدر ما كانت عملية تكتيكية محضة ، لتحويل الأنظار عن الأهداف الإستعمارية الحقيقية وإلا ، كيف يمكن تفسير إقدامها على تطبيق مشروع كانت المفاوضات قد فُتحت بشأنه مع قيادة المقاومة ؟

## ● قبيلة بني زروال السبب المباشر لإندلاع المواجهة الفرنسية الريفية

بعد أن أقدمت السلطات الإستعمارية على تطبيق جزء من مخططها التوسعي تدهورت الأوضاع أكثر وأصبحت سبل التواصل أو بالأحرى التفاهم بين الطرفين ، من قبيل

الأوهام لذلك شهدت المنطقة انطلاقا من شهر يونيو ، وفي غضون شهري يوليوز وغشت 1924 ، مواجهات حادة بين القبائل المحاذية للمراكز الفرنسية ، مدعومة بقوات ريفية أُرسلت إلى عين المكان لكن الطرفين كانا يحرصان ، مع ذلك على أن تظلّ محدودة في الزمان والمكان لسببين رئيسيين

أولا لم يكن ليوطي قد توصل بالتعزيزات العسكرية الضرورية للدخول في مواجهة مباشرة مع حركة المقاومة الريفية

ثانيا كان القائد الريفي مقتنعا بحتمية المواجهة ، لذلك كان يسعى مسبقا إلى حسم الصراع العسكري ضد الإسبان للحصول على أكبر قدر ممكن من الأسلحة والذخائر قبل الدخول في مواجهة مباشرة ضد قوة إستعمارية أكثر تقدما وقوة من إسبانيا

أضف إلى ذلك أن المشكل الحدودي بين منطقتي النفوذ الفرنسية والإسبانية ، وبالضبط مايسمى بـ"مشكلة بني زروال ، يشكل السبب المباشر لاندلاع الحرب الريفية الفرنسية في أبريل 1925 ؛ إذ أن الفرنسيين كانوا يتوفرون في القبيلة المذكورة على حليف هام تمثل في شخص

الشريف عبد الرحمان الدرقاوي ، الذي ساهم بشكل فَعَّال مع السلطات الفرنسية في مختلف مراحل السيطرة العسكرية بمنطقة ورغة ، واعتمدت عليه في صد كل المحاولات التي قام بها قائد المقاومة الريفية ، وخاصة إلى حدود نهاية 1923 ، لأنه ابتدء من هذا التاريخ أخذت تيارات مساندة للمقاومة تظهر على أرض الواقع .لكن التطورات التي أعقبت إحتلال النقط الإستراتيجية ( 27 ماي 1924 ) ، أظهرت بالملموس أن الفرنسيين كانوا مُصرِّين على الإستمرار في توسيع رقعة إحتلالهم ، بضمهم لقسم من بني زروال ( أولاد قاسم ) في سبتمبر 1924 وبالتالي ، فإن التيار المعارض للتواجد الفرنسي أصبح منظما، وأكثر فعالية في تحركاته ورفضه للمواقف المتخاذلة للشريف الدرقاوي الذي لما أحس بالخطر الداهم ، التجأ إلى زاويته بأمجوط

فما هي الأهمية التي تمثلها قبيلة بني زروال بالنسبة للمصالح الفرنسية ؟

- إن سيطرتهم على القبيلة تمكنهم من منع أي اتصال للمقاومة في الجبهة الغربية ( بني مستارة وغزاوة ) والجهة الشرقية ( مرنيسة وكزناية ) ، وتسمح لهم بمساعدة وحماية حليف قديم كان وفيا للإدارة الفرنسية هو الشريف

الدرقاوي

- إن السلطات الفرنسية ، وعلى رأسها ليوطي كانت على وعي بالآثار الإيجابية للإنسحاب الإسباني من مناطق متعددة ، على معنوية رجال المقاومة الريفية ، وعلى شعبية ابن عبد الكريم في مختلف القبائل(5)

- إن إتفاقية 27 أبريل 1912 تركت مشكلة الحدود بين منطقتي النفوذ الفرنسية والإسبانية عالقة ، وقبيلة بني زروال تدخل ضمن المناطق المتنازع عليها بين القوتين الإستعماريتين ففرنسا كانت ترى أن القبيلة في مجملها تدخل ضمن منطقة نفوذها أما الإسبان ، فكانوا بدورهم يطالبون بحقهم على جل أجزاء القبيلة

هذا الواقع نزل بكل ثقله على العلاقات الفرنسية الريفية وفي دجنبر 1924 ، قام ليوطي بإرسال تقرير مفصل إلى الحكومة حول تطور الأوضاع ، خاصة بعد الإنسحاب الإسباني ، وأشار في غضون حديثه عن قبيلة بني زروال ، بأنها أصبحت في مجملها تعلن تأييدها للمقاومة الريفية كما نَبَّهَ الحكومة أن ابن عبد الكريم

---

5.. Le prestige D'Abdelkrim a grandi dans des proportions formidables , il est devenu le centre d'attraction nationaliste

يجب الإشارة إلى أن ليوطي بعث بالكثير من التقارير يؤكد فيها هاته الظاهرة التي كانت قد تدعمت كثيرا عند نهاية سنة 1924

أصبح مُصِراً أكثر من أي وقت مضى، على الإعتراض لأي تقدم للقوات الفرنسية في اتجاه الشمال ؛ وإقدامه على إنشاء مراكز دفاعية شمال فاس وإرساله لأحسن قواته مجهزة بالرشاشات إلى المنطقة ، خير دليل على ذلك

لكن السلطات الفرنسية كانت ، مع ذلك ترى أن احتلال هاته القبيلة يعتبر أمرا حيويا لأنها تشكل قاعدة ضرورية لضمان نجاح الأنشطة السياسية مع الأعيان في القبائل ، قصد تفكيك الأعمدة الأساسية لقوة ابن عبد الكريم (6)

وفي سنة 1925 ، تمت إعادة نفس سيناريو السنة الماضية ( 1924 ) ، حيث ستعمل السلطات الفرنسية على إرسال مبعوث إلى أجدير في 18 مارس 1925 ، في شخص عبد العزيز لحلو ، للتأكيد على تبعية قبيلة بني زروال للنفوذ الفرنسي

بعد ذلك بادرت قيادة المقاومة بإرسال القائد حدو بن حمو إلى تاوريرت ، لإبلاغ المراقب المدني كابرييلي (Gabrielli) بإقتراحهم القاضي بتشكيل لجنة مشتركة

6 ـ أعني القبائل الجبلية المجاورة لشفشاون والقبائل الريفية المجاورة لأجدير. نظرا لأهميتها الإستراتيجية

فرنسية - ريفية ، لحل مشكل الحدود بين المنطقتين الفرنسية والإسبانية إلا أن السلطات الفرنسية رفضت البث في هاته المشكلة في غياب إسبانيا

يجب التأكيد أن القيادة الريفية وعلى رأسها ابن عبد الكريم كانت قد استوعبت جيدا درس السنة الماضية أي لما وضعتها الإدارة الفرنسية أمام الأمر الواقع باحتلال المناطق الإستراتيجية ، ولم تكن مستعدة هاته المرة للتخلي على قبيلة بني زروال نظرا لأهميتها الإستراتيجية والإقتصادية والسياسية

وفي خضم هاته التطورات ، أعطيت الأوامر لثلاث حركات ريفية وجبلية للإستعداد للمواجهة على حدود قبائل ورغة التي أنذرت بإندلاع الحرب الفرنسية الريفية يوم 13 أبريل 1925 •

« مبادرة الحكومات الإستعمارية بفتح مفاوضات مباشرة مع ممثلي المقاومة الريفية ، تدخل في إطار إستراتيجية محكمة للقضاء على حركة محمد بن عبد الكريم ».

# التحالف الفرنسي الإسباني

إذا كانت المقاومة الريفية ضد التوسع الإستعماري الإسباني بقيادة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي قد اندلعت شرارتها الأولى في يونيو 1921 بموقع ظهر أبران ، وأصبحت معروفة على المستويين الداخلي والخارجي ، بعد معركة أنوال الخالدة ( يوليوز 1921 ) وبالتطورات البطولية التي تجسدت في الإنتصارات الباهرة والمتوالية على القوات الإسبانية إلى حدود سنة 1924 ، فإن الشهور الأولى من 1925 ( أبريل ) شهدت حدثا هاما

ألا وهو تدخل قوة إستعمارية ثانية ( فرنسا ) كطرف مباشر في الصراع إلى جانب إسبانيا

هذا المعطى الجديد يشكل ، في حد ذاته ، البداية الفعلية لعملية اختلال التوازن الإستراتيجي السياسي والعسكري لصالح القوى الإستعمارية

لقد أظهر المجاهدون الريفيون كما هو معلوم ، مقاومة باسلة وصمودا نادرا في مواجهتهم للجيوش الفرنسية ، وألحقوا بها أقسى الهزائم طيلة الثلاثة أشهر الأولى لإنطلاق المعارك ( أبريل ـ يوليوز 1925 ). الشيء الذي مكّنهم من السيطرة على كل المواقع التي كانت قد احتلتها فرنسا من قبل في المنطقة ، لدرجة أن الماريشال ليوطي أصبح يبدي تخوفا صريحا من إمكانية دخول قوات المقاومة إلى المدن المحاذية للجبهة فاس ، تازة ووزان

بالرغم من كل هاته المعطيات الإيجابية ، يمكن القول إنه أصبح من الصعب على حركة المقاومة ، بعد التدخل الفعلي الفرنسي في الحرب ، مواصلة كفاحها بنفس الفعالية ضد دولتين إستعماريتين ، خاصة وأن فرنسا جنّدت كل طاقاتها العسكرية والديبلوماسية ، من أجل تحقيق هدفها المنشود والمتمثل في إفشال حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي

والمساهمة إلى جانب حليفتها إسبانيا في عمليات إخضاع المنطقة الشمالية من المغرب فكيف تبلور التحالف الإستعماري ضد المقاومة الريفية ؟ وماهي مراحل تحقيقه على أرض الواقع ؟

## ● البداية المتعثرة لتعاون القوات الإستعمارية :

لقد تلقت السلطات الإسبانية نبأ اندلاع الحرب الريفية ـ الفرنسية بكثير من الغبطة والإرتياح ، هذا الموقف يجد تفسيره في مبدإ المعاملة بالمثل ، خاصة إذا علمنا أن الصحف الفرنسية والتصريحات الرسمية لسلطات الحماية ما بين 1921ـ 1924، كانت تؤكد وبطريقة إستهزائية ، على عدم قدرة القوات الإسبانية في مواجهة أهالي بدائيين هاته الجهات نفسها أخذت بعد تاريخ 13 أبريل 1925 تعترف بصلابة المقاومين الريفيين وقدرتهم على التصدي لأحسن القوات الأوربية ، وتشير بأن المقاومة تتوفر على جيش منظم تنظيما عصريا لذلك فبمجرد ما بدأت السلطات الفرنسية تنادي بضرورة إحكام الحصار على شواطئ الريف ، لم تتوان الصحف الإسبانية للتذكير بالمواقف المتخاذلة " إبان المرحلة الأولى من حرب الريف مع التركيز على التسهيلات التي قُدِّمَتْ لأفراد من

المقاومة ومسؤولين عنها للدخول إلى المنطقة الفرنسية والسفر إلى المتربول[1] إن هذا الموقف يجد تفسيره في المشاكل العالقة بين القوتين الإستعماريتين مشكل الحماية والمنطقة الخليفية ، الحياد الإسباني إبان الحرب العالمية الأولى ، وكذلك المناوشات التي كان يقوم بها عبد المالك انطلاقا من المنطقة الإسبانية

فوعيا منها بالخطر الذي كانت تمثله الحركة الريفية على مصالحها الحيوية في المغرب خاصة ، وإفريقيا الشمالية عامة ، لم تنتظر السلطات الفرنسية طويلا إذ بادرت في غضون الشهور الأولى لإندلاع العمليات العسكرية بمنطقة بني زروال ، بالإتصال ديبلوماسيا بالحكومة الإسبانية ، قصد خلق الظروف الملائمة لفتح مفاوضات ثنائية ، يكون هدفها الرئيسي التوصل إلى صيغة مقبولة من الطرفين ، للتصدي سويا لحركة محمد بن عبد الكريم الخطابي فلماذا تم الإسراع بهذا التحرك ؟

1 ـ إن القوات الفرنسية كانت تمر بمرحلة صعبة حيث لم

---

1 ـ إن الإتهامات المتبادلة بين الطرفين ساهمت بدورها في تدهور العلاقات بين فرنسا وإسبانيا إلى حدود يوليوز 1925 تاريخ توقيع الإتفاقيات الثنائية لحل ، مشكل الريف ، انظر أطروحتنا ، فرنسا وحرب الريف 1921 ـ 1926 جامعة ليون II ، فرنسا 1989

يستطع التنظيم العسكري المعروف بـ" المراكز المتحركة إيقاف تقدم وزحف قوات المقاومة ، خاصة بعد أن التحقت بها أغلب القبائل الواقعة جنوب ورغة .[2] أضف إلى ذلك أن وصول الدفعات الأولى من التعزيزات العسكرية من المتربول الجزائر وتونس ، لم يُحْدِث أي تغيير يذكر على سير العمليات بل على العكس من ذلك ، ازدادت الوضعية تقهقرا إلى درجة أن الجنرال كمباي ( Cambay ) ، حاكم منطقة تازة تقدم بطلب رسمي إلى ليوطي ، بتاريخ 4 يوليوز 1925 ، قصد السماح له بالإنسحاب من تازة [3]

2 ـ إن المفاوضات الإسبانية الريفية كانت تزعج ، إلى حد كبير ، السلطات الفرنسية خشية أن يتوصل الطرفان إلى اتفاق أو هدنة ، ولم تهدأ تخوفاتهم إلا بعد أن علمت بفشلها النهائي

وفي هذا الإطار ، يمكن ذكر الرسالة التي توصل بها وزير خارجية فرنسا بريان ( Briand ) ، من لدن سفيره في

---

2 ـ نذكر على سبيل المثال القائد العلادي ( البرانس / Branès ) الذي التحق بصفوف المقاومة بعد إنطلاق المواجهة العسكرية في أبريل 1925 مصحوبا بقواته المنظمة بأموال وأسلحة وعتاد فرنسي

3 ـ الرسالة موجودة ضمن وثائق وزارة الدفاع الفرنسية ( château de vincennes )

مدريد بتاريخ 24 يونيو 1925 ، يطلعه فيها بأن مبعوث الحكومة الإسبانية إيشيفاريطا قام بزيارات متعددة إلى أجدير للتفاوض مع ابن عبد الكريم ومستشاريه إلا أن هاته المفاوضات ، قد توقفت منذ أيام بعد رفض المسؤولين الريفيين للمقترحات المقدمة لهم من طرف الإسبان [4]

في ظل هاته الظروف بادرت الحكومة الفرنسية بإرسال مبعوث رسمي إلى مدريد في شخص الوزير السابق مالفي ( Malvy )، في محاولة لإقناع السلطات الإسبانية بضرورة تحقيق تعاون وثيق بين الدولتين لحل مشكل الريف "[5] وبعد لقاءات متعددة مع رئيس الحكومة الإسبانية ، اتفق الطرفان على إنشاء لجنة مشتركة لدراسة السبل الكفيلة بتنسيق الجهود للقضاء على حركة المقاومة في الريف

لقد توجت جلسات عمل ( اللجنة المختلطة ) بالتوقيع على إتفاق هام في 9 يوليوز 1925 ، يتضمن التعاون والتنسيق بين سلطات الحماية الإسبان والفرنسيين ، لتطبيق مبدإ الحصار البري والبحري على منطقة الريف

4 ـ هذا ما يشير إليه السفير في رسالته ( الوثائق الديبلوماسية الفرنسية )

5 ـ إن أغلب الصحف الفرنسية ( Figaro- le temps ) قامت بتغطية أنشطة المبعوث الفرنسي في إسبانيا أنظر أعداد شهري ماي ويونيو 1925

ومن أجل توفير الظروف الملائمة لإنجاحه ، اتفق الطرفان على السماح للبوارج الحربية لكلا القوتين باستعمال الموانئ الفرنسية والإسبانية على السواء كما تم التوصل إلى إمكانية تخطي حدود مناطق النفوذ في حالة ضرورة القيام بعمليات عسكرية ضد قوات المقاومة

كما تم إبرام إتفاق آخر يوم 11 يوليوز 1925 ينص على ضرورة التنسيق بين القيادة العسكرية لكل منهما ( فرنسا ـ إسبانيا ) ، من أجل بلورة مشروع عمليات عسكرية مشتركة ضد المقاومة

فإذا كانت الأرضية أو السند القانوني والسياسي ، قد تم التوصل إليه بعد مفاوضات عنيدة ومجهودات جبارة ، قام بها أساسا الديبلوماسيون الفرنسيون ، فإن توظيفها وتجسيدها بشكل ملموس على المستوى التطبيقي ، لم يكن سهل المنال ، نظرا للنوايا المتناقضة والدفينة لكل طرف وأهدافه المرسومة وموقفه من الآخر

ـ فالجانب الإسباني كان هدفه الأول ، يتمثل في إنجاح عملية إنزال قواته على السواحل الريفية ، نظرا للأهمية الجيو- إستراتيجية لهذا المشروع ، باعتبار أنه يفتح المجال للقوات الإسبانية للتوغل في الداخل ، وإمكانية

القضاء على القلب النابض للمقاومة في الريف آنذاك ( المقصود هنا قبائل بني ورياغل ، تمسمان ، وبني توزين ) ثم إن الإسبان لم يكن لديهم إستعداد للإسراع بتطبيق مشاريع طموحة ، لأن الأخطاء التكتيكية الفادحة التي ارتكبتها القيادة العسكرية الإسبانية سنة 1921 كانت مازالت عالقة في أذهانهم كما أنه لم تكن لديهم في الحقيقة ، ثقة كبيرة بالفرنسيين ، نظرا للمشاكل المتعددة التي واجهتهم في المغرب منذ إتفاق سنة 1912

- في المنطقة الفرنسية ، عرفت الفترة الواقعة بين نهاية يونيو 1925 ( وصول بيتان إلى المغرب ) ، و24 سبتمبر ( تاريخ إستقالة ليوطي من منصب المقيم العام ) ، صراعا حاداً بين قادة التيارين المتواجدين آنذاك على رأس القيادة السياسية والعسكرية الفرنسية فيما يخص طبيعة وأهداف العمليات العسكرية المزمع تنفيذها في نهاية سبتمبر1925

فمن جهة كان الماريشال بيتان ( Pétain ) ينادي بضرورة التركيز على شن هجومات شمال تازة ، قصد تحقيق إلتحام القوات الفرنسية بنظيرتها الإسبانية ، قبل فصل الشتاء في أماكن إستراتيجية محددة ، كفيلة بأن تشكل القواعد المناسبة لإنطلاق عمليات منسقة بين الطرفين ضد القبائل

الريفية ، التي تعتبر الأداة الفعالة والمحرك الأساسي لحركة المقاومة

في حين كان ليوطي وأتباعه في القيادة ، يرون أنه يجب بذل كل الجهود في المنطقة الوسطى ، لتمكين حلفاء فرنسا المحليين الشريف الدرقاوي ( بني زروال ) ، اعمر احميدو ( مرنيسة ) ، والقائد المذبوح ( گزناية ) ، من العودة إلى قبائلهم والجدير بالإشارة أن الشخصيات الثلاثة كانت قد أجبرت ، بعد اندلاع الحرب الفرنسية الريفية في أبريل 1925 ، على اللجوء إلى فاس ، بعد أن انضمت القبائل إلى صفوف المقاومة

إن الماريشال ليوطي كان يعتبر أن التحاق القادة الثلاثة بقبائلهم ، يشكل عاملا سيكولوجيا هاما لإعادة ثقة القبائل في السلطات الفرنسية ، ويمكن الإعتماد عليهم من جديد لمحاربة محمد بن عبد الكريم دون شَنٍّ هجومات مباشرة بقوات فرنسية داخل المنطقة الإسبانية

بإيجاز كان هناك صراع حاد داخل الإدارة الفرنسية بين الداعين إلى حلول جزئية سياسية ومرحلية ، والداعين إلى حلول راديكالية عسكرية وشاملة ، لكنه بالرغم من نجاح أطروحة الحل الثاني ، بعد استقالة ليوطي ، فإن الجانب

الإسباني لم يكن متحمسا لتنفيذ المشروع الفرنسي هذا الموقف دفع القوات الفرنسية ، التي كانت قد وصلت إلى موقع متقدم بعد تنفيذ عملياتها الهجومية شمال تازة ، إلى التراجع عشرات الكيلومترات إلى الوراء ، بعد استئناف الهجومات المضادة للمقاومين ، وعدم استجابة الإسبان لنداءاتهم المتكررة [6]

بقي أن نشير إلى أن هذا التراجع ، تم في ظروف جد صعبة ، باعتراف بيتان نفسه ، حيث كَلَّف القوات الفرنسية الكثير من الخسائر البشرية والمادية[7]

## ● تدعيم التحالف الإستعماري :

إبتداء من شهر نوفمبر 1925 ، تم استئناف المشاورات الفرنسية الإسبانية من أجل التوصل قبل بداية فصل الربيع ، إلى اتفاق يحدد بوضوح دور كل طرف في الصراع قبل شن العمليات العسكرية ، الهادفة إلى

---

6 ـ إن الماريشال بيتان لم يتخذ هذا القرار ( الإنسحاب ) إلا بعد أن استنفد كل المحاولات الممكنة لإقناع القادة الإسبان بضرورة إلتقاء القوات المتحالفة في مواقع متقدمة ومحاذية للقبائل الاكثر ولاء لمحمد بن عبد الكريم قبل حلول فصل الشتاء

7 ـ أنظر التقرير الذي أعدّه بيتان حول ، تقدم العمليات العسكرية في شمال المغرب ، والمؤرخ بـ 20 أكتوبر 1925 ـ الوثائق الديبلوماسية ـ باريس ( Quai d'orsay )

التوغل داخل القبائل الأكثر ولاءً لقائد المقاومة والتي كان ينتظر منها بيتان أن تشكل ضربة قاضية لقوة عبد الكريم ونفوذه [8]

وفي هذا الإطار تعتبر لقاءات الماريشال بيتان بالجينرال بريمو دي ريفيرا ، حجر الزاوية في مسلسل توثيق العلاقات الفرنسية ـ الإسبانية ، لتحضير العمليات المشتركة في فصل الربيع من 1926 . وقد توجت الإتصالات الثنائية ، بالزيارة الرسمية التي قام بها بيتان إلى مدريد في 4 فبراير 1926 ، تلبية لدعوة رئيس الحكومة الإسبانية

بعد مفاوضات مستفيضة بين الطرفين ، تم التوصل إلى إتفاق تم توقيعه يوم 6 فبراير ، يحدد بشكل مفصل ومحدد الأهداف المتوخاة ، والسبل الكفيلة لتحقيق التعاون التام بين القوات الفرنسية والإسبانية ، من أجل القضاء على حركة ابن عبد الكريم في غضون ربيع 1926

وتبعا لذلك ، يتوجب على القوات الإسبانية القيام بعمليات عسكرية انطلاقا من أجدير، في اتجاه تركيست والقطاع الشرقي في حين تتكلف فرنسا بشن هجومات

8 ـ نفس المصدر

في اتجاه ثلاثة محاور ، تهدف كلها إلى تقديم الدعم العسكري واللوجستيكي للقوات الإسبانية في تقدمها وتوغلها داخل القبائل الريفية

كما اتفق الطرفان على إجراء مشاورات إضافية بين القيادات العسكرية قبل بداية العمليات الحاسمة وفي هذا الإطار يدخل إجتماع وزان يوم 17 مارس 1926 ، الذي حدد تاريخ بدايتها في غضون الأسبوع الثاني من شهر أبريل 1926

والجدير بالذكر أن هذه العمليات لن تبدأ فعليا إلا يوم 6 ماي 1926 فما هي الأسباب التي كانت وراء هذا التأخير في تنفيذ القرارات المتخذة ؟

يجب التأكيد في البداية أن الوضعية السياسية والعسكرية في المنطقة الشمالية كان قد طرأ عليها تغيير هام ، خاصة إبتداء من خريف 1925 ، بعد أن تمكنت القوات الإستعمارية من شن هجوماتها المركزة داخل القبائل الريفية لذلك يمكن القول ، إن ميزان القوى ، سياسيا وعسكريا كان قد أصبح في ربيع 1926 لصالح القوتين الإستعماريتين أضف إلى ذلك ، أن عملية التنسيق بين القيادات العسكرية كانت قد توطدت دعائمها ، واستكلمت

أطوارها بعد توقيع إتفاقية وزان في مارس 1926

إلا أن اعتبارات داخلية مرتبطة أساسا بظهور تيارات، مناهضة للحرب الإستعمارية، في المتْرُبول ودعوتها الصريحة إلى ضرورة البحث عن حل سلمي "[9]، دفعت الحكومة الفرنسية إلى الإعلان عن مناورة سياسية ذات أهداف تكتيكية محضة، تتمثل في التحضير لما يسمى بـ" مؤتمر وجدة "[10] محاولة بذلك أن تبرهن للرأي العام، أنها تبذل قصارى جهدها لإيقاف المواجهة العسكرية، مع العلم أن القوات الإستعمارية، كانت قد استكملت آنذاك حشد جيوشها الجرارة على مقربة

9 - إن إندلاع المواجهة العسكرية ( الفرنسية - الريفية ) في غضون أبريل 1925 وتطوراتها خلال الشهور اللاحقة خلفت ردود فعل مختلفة ومتباينة لدى الرأي العام الفرنسي في المتربول فالحزب الشيوعي ( SFIC ) عَبَّر منذ البداية عن تنديده الشديد بهاته الحرب وعمل على تعبئة كل طاقاته من أجل شرح موقفه وفضح الأهداف الإمبريالية التوسعية للهجمة الإستعمارية في حين أن الحزب الإشتراكي (SFIO ) الذي كان ينتمي إلى الأغلبية الحاكمة آنذاك في فرنسا ( CARTEL des GAUCHES ) بالرغم من عدم مشاركته الفعلية في الحكومة عرف موقفه تغييرا هاما بفعل الضغط المتواصل لمناضليه في أقاليم متعددة والنقاش الحاد الذي عرفته قيادته الوطنية وممثلوه في الجمعية الوطنية ففي الشهور الأولى لإنطلاق المعارك صوت نوابه في البرلمان على كل الإختيارات الحكومية وقدموا دعمهم للسياسة الإستعمارية الفرنسية إلا أنه ابتداءا من يوليوز 1925 أخذت تحفظاتهم تبرز بوضوح بنداءاتهم المتكررة للجوء إلى المفاوضات لحل "مشكلة الريف وامتناعهم عن التصويت على القرارات الحكومية المتخذة لمعالجتها بقي أن نشير أن الكتلة الوطنية التي تمثل مجموع التيارات اليمينية. قدمت دعمها اللامشروط للسياسة الفرنسية في شمال المغرب

10 - انعقد مؤتمر وجدة ما بين 18 أبريل و 6 ماي 1926 بمشاركة وفود تمثل الحكومة الإسبانية والفرنسية والمقاومة الريفية

من المعاقل الأخيرة للمقاومة الريفية

إن هذا الطرح تعززه الشروط المسبقة التي تقدم بها ممثلو فرنسا وإسبانيا لممثلي القيادة الريفية في أول إجتماع ينعقد قبل بداية المفاوضات الرسمية[11] كما لا يجب إغفال عامل آخر ساهم بشكل واضح في الإختلاف الذي حصل بين القيادتين : السياسية ( ستيغ / Steeg ) والعسكرية ( بيتان / Pétain ) للحماية الفرنسية ولم تحسم القضية إلا بتدخل رئاسة مجلس الوزراء ، وتنظيمها لندوة في باريس يوم 30 مارس 1926 بمشاركة الطرفين

من خلال كل ما سبق ذكره ، يتضح بجلاء أن مبادرة الحكومات الإستعمارية بفتح مفاوضات مباشرة مع ممثلي المقاومة الريفية ، تدخل في إطار إستراتيجية محكمة للقضاء ، بصفة نهائية ، على حركة محمد بن عبد الكريم فبعدما تم التوقيع على إتفاقية وزان ( مارس 1926 ) ، لم يبق أمام القادة العسكريين ( فرنسيين وإسبان ) إلا وضع اللمسات الأخيرة على مخططهم الهجومي المنسق

كما أن انعقاد مؤتمر وجدة عمل على طمأنة جناح هام من التيار الداعي لحل سلمي ، داخل الإئتلاف الحكومي

11 ـ خلال هاته الجلسة طالب ممثلو القوتين الإستعماريتين من الممثلين الريفيين العمل على إطلاق سراح الأسرى والسماح لجيوشهما بالإستيلاء على مواقع محددة تقع على نهر الكرت قبل الشروع في المحادثات الرسمية

( le cartel des gauches ) ، الشيء الذي ساهم في تفادي الشرخ السياسي الذي كانت بدأت بوادره تلوح في الأفق أضف إلى ذلك ، أن المفاوضات المباشرة كان لها أثر سلبي على معنويات المجاهدين الريفيين ، وعلى درجة التعبئة في صفوفهم ، إبتداء من الإعلان عن وقف إطلاق النار لاعتقادهم بإمكانية التوصل إلى حل سلمي من خلال الإتصالات السياسية[12]

قصارى القول ، أن تدهور العلاقات الفرنسية ـ الإسبانية خاصة ما بين يوليوز 1921 و أبريل 1925 ، وتضارب المصالح الحيوية لكلا الدولتين ، جعل مسيرة تحالفهما تعرف بداية متعثرة إلا أنه سرعان ما تم تجاوز الأحقاد والحسابات الضيقة ، وتكثفت الجهود بعد ذلك ، للتخلص من الخطر الذي كانت تشكله حركة ابن عبد الكريم على مصالحهما المشتركة وهكذا ، فبعد أن استكملت القوات الإستعمارية إستعداداتها ، شَنَّت هجومات مركزة على آخر معاقل المقاومة ، انتهت باستسلام قائد المقاومة محمد بن عبد الكريم يوم 26 ماي 1926 ، ونفيه إلى جزيرة لارينيون ( la réunion ) إلى حدود سنة 1947 ●

---

12 ـ باران ( Parent ) رئيس الوفد الصحي الفرنسي الذي كان موجودا في الريف خلال تلك الفترة أشار في تقرير له إلى هاته الظاهرة التي لاحظها في عين المكان

« الماريشال بيتان يـقدم معلومات عن الحالة بجبهات القتال. »

# الدخول إلى فاس

مما لاشك فيه أن اندلاع الحرب الفرنسية الريفية في غضون الأسبوع الثاني من أبريل 1925 لم يكن إلا تتويجا لسيرورة من الأحداث المتلاحقة والتطورات السريعة التي عرفتها المنطقة الشمالية منذ معركة أنوال في يوليوز 1921

لذلك لا يمكن في نظرنا ، استيعاب وملامسة الأسباب البعيدة والقريبة التي ساهمت بشكل أو بآخر، في تفجير الصراع العسكري إلا بالوقوف عند أهم المحطات التي

ميزت الحقبة الوجيزة ما بين 1921 و1925 ، الحافلة بالمستجدات ، والتركيز على أهم سمات السياسة الإستعمارية الفرنسية ، التي كانت تهدف بالأساس إلى تقويض دعائم حركة المقاومة ، والحد من تأثيرها ونفوذها[1]

كما نرى أنه من الضروري التذكير ، بأن المجاهدين الريفيين استطاعوا خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحرب على الأقل ( أبريل ـ نهاية يوليوز 1925 ) ، إحراز انتصارات غير منتظرة في مواجهتهم للقوات الفرنسية ، وألحقوا بها هزائم نكراء ، إلى حد أن المدن المجاورة لجبهة القتال فاس ، تازة ووزان ، أصبحت مهددة بالسقوط في أيدي حركة المقاومة

وبما أن الإشكالية المركزية ، التي نود مناقشتها ومقاربتها في مداخلتنا ، ترتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة الإستراتيجية المسطرة من طرف قادة المقاومة ، وعلى رأسهم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ، والمتبعة في الجبهة الجديدة بعد أن أصبحت فرنسا طرفا مباشرا في حرب الريف إلى جانب إسبانيا ، فإننا نقترح البدء بإعطاء تقديم مركز عن أهم التطورات التي عرفتها المنطقة على

ـ أنظر أطروحتنا La France et la guerre du Rif 1921 - 1926 ، Thèse de Doctorat - Lyon II - 1989

المستوى العسكري ما بين أبريل ويوليوز 1925 ، قبل الإنتقال إلى مناقشة الأطروحة السائدة في جل الكتابات الغربية التي تدعمها أغلب التقارير السرية للمسؤولين الفرنسيين معتبرة أن الهدف الرئيسي الذي كان يتوخى تحقيقه محمد بن عبد الكريم من وراء العمليات العسكرية بالجبهة الجنوبية ( ورغة ) ، هو الدخول إلى مدينة فاس وبما أن التاريخ الذي تم تحديده من طرفهم للقيام بهذا الزحف يندرج في غضون شهر يوليوز 1925 فإننا ارتأينا التركيز بصفة خاصة على الوضعية العسكرية بجبهة ورغة خلال هذه المدة

## 1 ـ الوضعية العسكرية بالجبهة الجنوبية ( الفرنسية ) :

لقد حظيت جبهة ورغة بأهمية خاصة ضمن المشاريع العسكرية التي خطط لها قادة المقاومة في كفاحهم ضد المد الإستعماري الفرنسي ، وذلك لاعتبارات متعددة نذكر منها

ـ إن توغل القوات الفرنسية داخل تراب قبيلة بني زروال ، التي كانت كل من إسبانيا وفرنسا تعتبرها خاضعة لمنطقة نفوذها ، ابتداء من شتنبر 1924 ، شكل الشرارة الأولى التي أدت بعد شهور معدودة إلى إنفجار الأزمة

بشكل رسمي الأمر الذي جعل كلا الطرفين يركز ، في عملياته العسكرية ، وترتيباته التكتيكية ، وإنشغالاته اللوجستيكية ، على هذه الجبهة بصفة أساسية إضافة إلى أن هذه المنطقة تتميز بموقعها الإستراتيجي ومؤهلاتها الطبيعية والإقتصادية

ـ إن الحَركات الأولى ، التي جندها محمد بن عبد الكريم بالمنطقة استطاعت خلال الأيام الأولى من الحرب أن تفرض سيطرتها على قبيلة بني زروال ، والقبائل المجاورة التي كانت تعتبر بحق معقل الأعيان المؤيدين للسياسة التوسعية الفرنسية بفضل الخدمات والدعم المتواصل الذي كان يقدمه عبد الرحمان الدرقاوي ونجله محمد وأتباعه منذ السنوات الأولى للحماية لتسهيل مأمورية السلطات الإستعمارية(2) وأعقب هذه الإنتصارات فرار كل حلفاء الإدارة الفرنسية ولجوءهم إلى فاس

كما أن أهم ما يميز هذه الفترة القصيرة نسبيا ( أبريل ـ يوليوز 1925 ) في هذه الجبهة ( ورغة ) ، هو فشل التنظيم العسكري المعروف بـ المراكز المتحركة والذي وضع

هندسته الماريشال ليوطي إذ أن جلها ظل محاصرا لمدة طويلة[3] وسقطت في يد المجاهدين أو تم إخلاؤها في ظروف جد صعبة ، بعد أن تأكد القادة العسكريون من استحالة فك الحصار عنها بصفة نهائية أو ضمان تموينها باستمرار

وبالرغم من التدفق المتواصل للتعزيزات العسكرية طيلة هذه المدة[4] ، فإنها لم تكن كافية لإحداث أي تغيير يذكر في ساحة العمليات ، نظرا لالتحاق أهم القبائل المجاورة لمدينة فاس بحركة المقاومة ، وقيامها بأنشطة مكثفة أربكت المسؤولين الفرنسيين ، وأفشلت كل مخططاتهم

3 - يكفي أن نشير في هذا الإطار إلى المركزين الرئيسيين تاونات وبيبان اللذين ظلا محاصرين لمدة شهور دون أن تستطيع القوات الإستعمارية رفع الحصار عنهما ويركز ليوطي في تقرير له بتاريخ 4 يونيو على الضغط المتواصل على مركز تاونات الذي كان في نظره محمد بن عبد الكريم يهدف من ورائه

( poursuivant son dessein sur Fès et de provoquer un mouvement chez les tribus qui sont inondées de ses appels, et de plus en plus travaillées par ses agents

AMG ( Archives du ministère de la guerre ) Château de Vincennes

Bulletin périodique du 4 Juin 1925

De Lyautey au Président du Conseil

4 - ارتفع عدد الفيالق العسكرية الإستعمارية بجبهة فاس ما بين 30 أبريل 1925 و 18 يوليوز 1925 من 20 إلى أكثر من 60 فيلقا

الهادفة إلى تحسين الوضعية المتردية في كل الواجهات [5]

من المؤكد أن جبهة تازة لم تعرف طيلة الشهر الأول للصراع إلا أنشطة عسكرية محدودة إذ ركز الطرفان جهودهما على جبهة ورغة

إلا أنه انطلاقا من منتصف شهر ماي 1925 أخذت التقارير السرية للماريشال ليوطي[6] تشير بشكل واضح أن المنطقة مقبلة على تصعيد خطير ، بالنظر إلى التحضيرات المكثفة التي كانت تقوم بها كل من القوات الفرنسية وقوات المقاومة ، وإقدام هذه الأخيرة فيما بعد على التقدم في اتجاه القبائل المحاذية لتازة ، التي أسرعت

5-" L'offensive rifaine semble s'être déplacée vers l'ouest groupe de 2000 dissidents et Rifains s'est infiltré au l'Ouergha au sud ouest de Kelaa de Sless faisant refluer deva la tribu Fechtala et tous les Cheraga (...) qui à reflue dans la direction de Fès (..)

AMG 3H100 Rabat 9 Juillet 1925 Bulletin de 8Juillet De Lyautey au président du conseil

La menace précise au nord de Taza où tous le renseignements signalent un projet d'attaque iminent le. semblements grossissent de plus en plus au nord et au nord es de Kifane et auraient reçu l'ordre de nous attaquer

AMG 3H101 Télégramme N318 Rabat 23 Mai 1925 à oh 35

للإلتحاق بالحركة التحريرية الواحدة تلو الأخرى[7]

ويمكن القول إن التطورات الأكثر دلالة والتي كانت تنذر بتغيير فجائي وحاسم تتمثل أساسا في التحاق القائد الخلادي قائد البرانص بصفوف المجاهدين ، الذي كان يحظى باحترام ونفوذ قويين بالمنطقة ، ويتوفر على جيش منظم بطريقة عصرية ، ومدجج بأسلحة فرنسية متطورة وكذلك في انضمام قبيلة التسول بالحركة ، ومساهمتها الفعالة في إحكام الضغط على القوات الإستعمارية[8]

إن المستجدات المشار إليها أذكت حماسا إضافيا في صفوف المجاهدين وساهمت في تعزيز دينامية المواجهة ضد المستعمر بمعنويات مرتفعة فتم بذلك إحكام الضغط على

7-" La Situation s'est fort aggravée depuis 48 heures l'attaque générale sur le front Leben Msoun produit la plus vive impression sur les Tsoul et les Branès Ces derniers ont cédé dans toute la région au nord de Taza et le mouvement de défection menace d'être complet d'ici 24 CMC Rabat 4 Juillet 1925 De Lyautey au ministère de la guerre

8-" La Situation dans le secteur cambı 'st particulièrement inquiétante du fait que l'ensemble des Tsoul et Branès au nord de la ligne Oued oumlil Camp du rocher Meknassa Foukania ( Beni chabel ) e. non seulement en dissidence ais bien en insurrection critique (

AMG 3H100 Rabat N219 CMC B.P du 22 Juillet 1925

القوات الفرنسية بقيادة الجينرال كمباي الذي أجبر أمام التقدم الحثيث للمقاومين ، والخسائر الفادحة التي لحقت بقواته ، على تقديم طلب مستعجل لليوطي يدعوه فيه إلى الإستجابة لقرار الإنسحاب من قطاع تازة ، لتفادي وقوع الكارثة[9] لكن بعد دراسة دقيقة للإنعكاسات الخطيرة التي يمكن أن تترتب عن هذا القرار ، رفضت القيادة السياسية والعسكرية الطلب المذكور ، وكثفت في المقابل ، من إرسال التعزيزات المطلوبة لكي تتمكن القوات الفرنسية من تفادي سقوط تازة تحت نفوذ حركة المقاومة

أما فيما يتعلق بجبهة وزان ، فإنها ظلت هادئة نسبيا بالمقارنة مع الجبهتين السالفتي الذكر ( فاس - تازة ) بالرغم من الإستعدادات التي كانت تتم في شفشاون إبتداء من منتصف مارس 1925 ، في أفق شن هجوم منظم ومركز في اتجاه هذه الجبهة[10] كما أن القيادة الفرنسية لم تتوان ، من

9-" Il demande instamment à être
du secteur de Taza AMG 3H100 Idem

10-" Des renseignements de Tanger signalent que KHIRIRO qui a réussi une importante harka marcherait à très bref délai sur Ouezzan
AMG 3H101 Bull périodique du 15 Mai président du conseil

جانبها ، في تعزيز حضور قواتها في مختلف المراكز الإستراتيجية بالمنطقة لكن التوقعات التي كانت تَرِدُ باستمرار في تقارير سلطات الحماية حول قرب شن هجوم ريفي - جبلي[11] ، لم تتأكد بشكل نهائي إلا في غضون شهر يوليوز ، بوصول حركة جبلية عملت على تعبئة القبائل ، التي انضمت لصفوف المقاومة ، وتأطير المجاهدين قبل أن تشن هجوماتها ، التي شكلت إلى حدود الأسبوع الثاني من غشت 1925 ، خطرا حقيقيا على التواجد الفرنسي بوزان

## 2 - حقيقة الأطروحة الإستعمارية فيما يتعلق بفاس :

إن كل التقارير الرسمية الفرنسية التي تمكنا من الإطلاع عليها[12] تدافع عن أطروحة مفادها أن قيادة المقاومة الريفية ، وعلى رأسها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ، كانت تهدف من وراء العمليات العسكرية الهجومية التي خاضتها إبتداء من 13 أبريل 1925 إلى

هذا لا يعني جبهة وزان لم تعرف عمليات عسكرية طيلة المدة السابقة وإنما كانت محدودة في هميتها خاصة قبل التحاق القبائل المجاورة ورن أبرزها رهونة وعراوة

12 قصد كل التقارير الواردة على المتربول من مختلف المصالح الإدارية لسياسية والعسكرية للحماية الفرنسية بالمغرب والموجودة ضمن وثائق وزار لخارجية الفرنسية بباريز ( Quai d'orsay ) أو بوزارة الدفاع بفانسين ( Château de vincennes )

إحتلال مدينة فاس وهذا ما تؤكده تصريحات المسؤولين الحكوميين الفرنسيين سواء أمام البرلمان بالمتربول أو في منتديات أخرى داخل وخارج فرنسا

ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لم تقدم الحركات الريفية ـ الجبلية ، بعد أن ألحقت هزائم فادحة بالقوات الفرنسية ، على احتلال المدينة المذكورة أو على الأقل الإقتراب نسبيا من ضواحيها ، خاصة بعد أن التحقت أغلب القبائل المجاورة لفاس بحركة المقاومة (!؟)

أضف إلى ذلك ، أن الضغط كان متواصلا كذلك على المدن الأخرى المحاذية لجبهة القتال وزان ، وتازة ، بعد أن تخلت ( القبائل عن ولائها للإدارة الفرنسية ، وأصبحت معبئة ومستعدة للقيام بأية مهمة ، تأمر بها قيادة المقاومة )[13]

إن مجرد التفكير في إخلاء تازة من طرف القيادة العسكرية الفرنسية يؤكد أن الوضعية كانت قد وصلت إلى درجة قصوى من التدهور والخطورة ، لم يعد ممكنا معها الإستمرار في مواجهة زحف قوات المقاومة التي كانت

---

13 ـ من خلال استعراضنا في النقطة الأولى لأهم التطورات التي عرفتها الجبهات الثلاث ( فاس ـ تازة ـ وزان ) اتضح بشكل جلي أن الوضعية العسكرية إلى حدود نهاية يوليوز 1925 كانت لصالح حركات المقاومة بحيث أن القوات الإستعمارية فشلت في إسترجاع نفوذها بالرغم من وصول تعزيزات هامة من المتربول والمستعمرات والإستعمال المكثف لسلاح الطيران

تسيطر سيطرة شبه مطلقة على ساحة العمليات العسكرية كما أنه كان من الصعب إن لم نقل من المستحيل إيقاف تقدم منطقة بأكملها ، مصرة على مواصلة مجهوداتها في إتجاه فاس لو كان المسؤولون الريفيون ، قد أصدروا تعليمات واضحة في هذا الشأن ، خاصة وأن معنويات المجاهدين كانت في قمّتها بعد الإنتصارات المتتالية التي أحرزوها في كفاحهم ضد القوات الإستعمارية

إلى جانب المعطيات السالفة الذكر نجد أن التقرير السري الذي أنجزه الماريشال بيتاز بعد قيامه بزيارة تفقدية للمنطقة الشمالية ، يقدم معلومات هامة عن الحالة بجبهات القتال[14] فبعد تركيزه على انضمام قبائل المنطقة بحركة المقاومة يشير بيتان إلى ظاهرة العياء التي أصابت القوات الإستعمارية ، بعد المجهودات المتواصلة والعمليات الدفاعية التي قامت بها منذ بداية الحرب الأمر الذي كان يحتم ، برأيه ، ضرورة استبدالها بقوات جديدة ذات معنويات ، وقدرة على الدخول في مواجهة

14-" ( ) Nous nous trouvons donc placés en présence plus d'une armée régulière mais en face du Maroc septentrional révolté et la nécessité s'impose de reconquérir sans base de départ assurée toute la région dissidente ou insurgée ( ) CF AMG 3H602 observations faites à la date du 22 Juillet 1925 par Maréchal Pétain au cours de ses visites à Rabat et au front nord .

صعبة[15] كما لاحظ أن أغلب الفيالق تضاءلت أعدادها بسبب الخسائر الكبيرة التي لحقت بها أضف إلى ذلك أن الظروف القاسية للحرب ، ونجاح الحملة الدعائية التعبوية لحركة المقاومة أفرزت جواً من عدم الإنضباط في صفوف المجندين ، و تمرد واضح ضمن المكوّن المغاربي في الجيوش الإستعمارية[16]

من خلال كل ما سبق ذكره ، يتضح أن الظروف العامة عسكريا وسياسيا كانت ملائمة للقيام بعمليات عسكرية هجومية من طرف حركات المقاومة في اتجاه مدينة فاس لماذا إذن لم يصدر محمد بن عبد الكريم تعليمات للقيادة العسكرية للقيام بذلك ؟

في هذا الصدد نورد شهادة هامة لأحد المقربين من الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي يقول فيها بأن امحمد ( أخ الأمير ) الذي كان مكلفا بالجبهة الفرنسية ، اتصل

15-" ) C'est une situation fonciérement instable qui réclame pour être rétablie et consolidée de nouveaux renforts à nos disponibilités التقرير السابق

16-" ( ) Certains mutineries ont été signalées ( 66 RTM ) on signale d'autre part que des commandants de postes ou de déttachements auraient été ligotés par leur hommes mis hors d'éta d'exercer leur commandement parfois meme livrés à l'adversair les désertions dans les postes de tirailleurs nord ains commencent à se produire
AMG 3H602 - نص التقرير

هاتفيا بأخيه وأطلعه على الوضعية العامة بالجبهة وأخبره أنه تلقى زيارة مبعوثين من عدد لا يستهان به من القبائل المجاورة لفاس ، ليبلغوه إستعداد هذه الأخيرة للزحف على فاس ، وأنها لا تنتظر إلا قرار القيادة العليا

بعد ذلك ، طلب محمد بن عبد الكريم من أخيه إبداء رأيه الشخصي في الموضوع بصفته المسؤول الأول عن الجبهة ، فعبر هذا الأخير عن تحفظه لاعتبارين أساسين

- بما أن القبائل ليست منظمة تنظيما محكما ، فإن دخولها لفاس ، قد تترتب عليه لا محالة إنعكاسات خطيرة على المدينة وسكانها

- إن حركات المقاومة ولو افترضنا أنها تمكنت من طرد الفرنسيين من فاس ، فإنهم سيعيدون بناء قوتهم ، وتنظيم صفوفهم ، وتعزيز قدراتهم ، قبل شن هجوم ستكون له نتائج كارثية على سكان المدينة

بعد ذلك يقول محمد عمر القاضي[17] إن ابن عبد

17 التقيت بمحمد عمر القاضي مرات عديدة في نهاية سنة 1984 بمدينة الحسيمة. وفي احدى اللقاءات تطرقنا لـ مشكلة فاس فزودني بالمعلومات التي وظفتها في العرض عمر القاضي هو صاحب كتاب أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي تطوان - 1981

الكريم دعا إلى اجتماع طارئ لمجلس الحرب لمناقشة الموضوع واتخاذ القرار النهائي وبعد دراسة دقيقة لكل الخطط المقترحة ، والإستماع إلى وجهات نظر أعضاء المجلس في الموضوع ، اتخذ المجلس قرارا يقضي بإيقاف تقدم قوات المقاومة في اتجاه فاس ، والإكتفاء بتطبيق خطة دفاعية في الجبهة الفرنسية ، إنطلاقا من منطقة وزان إلى حدود القطاع الشرقي وفي هذا الإطار، أشير إلى أنه مباشرة بعد معركة أنوال طرحت على محمد بن عبد الكريم إمكانية الدخول إلى مليلية فكان القرار النهائي مشابها للقرار المتخذ فيما يخص فاس

خلاصة القول ، إن السلطات الفرنسية التي وجدت نفسها أمام حركة مقاومة منظمة ، استطاعت رفع التحدي الإستعماري بإرادة قوية وكفاءة نادرة ، لم يبق أمامها إلا البحث عن سيناريو ذي طابع دعائي ، يرتكز على مغالطات مقصودة ، وأحكام مسبقة ، في محاولة يائسة للمَسّ بسمعتها ، والتقليل من بعدها الوطني التحرري وفي هذا الإطار يأتي تأكيدها على أطروحة الدخول إلى فاس ●

**« الشروط التعجيزية التي طرحت على الوفد الريفي في الجلسة التمهيدية ليوم 17 أبريل 1926 ، كافية لفضح النوايا الحقيقية للقوتين الإستعماريتين .. »**

# الواجهة السياسية للمقاومة

إن أهم ما يثير انتباه الباحث عند دراسته لتاريخ المقاومة الريفية أو لإحدى جوانبها ، هو الحضور القوي والفعال للمنطقة الشرقية إبان المرحلتين الرئيسيتين لكفاحها ضد القوى الإستعمارية الإسبانية والفرنسية فخلال المرحلة الأولى الممتدة ما بين 1921 1924 شكلت هاته المنطقة قاعدة خلفية لحركة المقاومة إذ كانت مسرحا لإتصالات متعددة بين مبعوثي الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ومسؤولين رسميين ووسطاء

فرنسيين ، و رجال أعمال دوليين كما استثمر المقاومون هذا المنفذ الإستراتيجي الهام للحصول على كثير من المواد والحاجيات التي كانوا في حاجة إليها أضف إلى ذلك أن كل الوفود الريفية التي سافرت إلى المتربول وجدت التسهيلات الضرورية والمساعدات المطلوبة من طرف فرنسيين بالمنطقة الشرقية

أما في المرحلة الثانية من حرب الريف التحريرية ( 1925 1926 ) ، فقد احتضنت مدينة وجدة المفاوضات التي جمعت بين الوفود الثلاثة الفرنسية الإسبانية والريفية والتي اصطلح على تسميتها بـ مؤتمر وجدة

إذن لإبراز المكانة المرموقة والدور المتميز الذي لعبته المنطقة الشرقية إبان الأحداث المتسارعة التي عرفها الريف ما بين يوليوز 1921 إلى حدود ماي 1926 لابد من التركيز على محورين أساسيين هما

المحور الأول ، ويهم بصفة خاصة فترة المواجهة ضد الإسبان إبتداءا من معركة أنوال الخالدة ( يوليوز 1921 ) وقد عرفت خلالها العلاقات الفرنسية الريفية إنتعاشا ملحوظا ساهمت في تحقيقه شخصيات فرنسية قاطنة بالمنطقة

الشرقية ، بتنسيق مع ممثلي المقاومة الريفية ، وعلى رأسهم القائد حدو بن حمو الذي استطاع تنظيم شبكة جد إجرائية في تحركاتها لتقديم المساعدة لحركة المقاومة

أما المحور الثاني ، فيرتبط أساسا بالمرحلة الثانية ( أبريل 1925 ـ ماي 1926 ) أي بعد دخول فرنسا إلى جانب إسبانيا كطرف مباشر في الصراع العسكري ، ويتطرق للإنعكاسات السلبية للتحالف الإستعماري الفرنسي الإسباني على التطورات اللاحقة ، بعد ما أصبحت المنطقة الشرقية مجالا خصبا للتحرك السياسي الفرنسي للقضاء على مقاومة محمد بن عبد الكريم ، ومنطلقا صلبا لتفكيكها من الداخل

ويكفي الإشارة لإبراز الدور الهام للمنطقة الشرقية إلى مؤتمر وجدة ( أبريل ـ ماي 1926 ) ، الذي يعتبر آخر مناورة سياسية إستعمارية في سيرورة التصدي لحركة المقاومة

## I ـ المرحلة الأولى :

### ـ المنطقة الشرقية كقاعدة خلفية لحركة المقاومة

إن كل الوثائق التي تمكنا من الإطلاع عليها بمراكز الأرشيف الفرنسية أو

الإسبانية[1] ، حول جوانب متعددة من حرب الريف التحريرية ، تجمع على الدور الريادي الذي لعبته المنطقة الشرقية أثناء المرحلة الأولى من المواجهة بحيث أن الأمير محمد بن عبد الكريم ، إيمانا منه بالأهمية الإستراتيجية للمنطقة المحاذية للريف ، وبالآفاق الإيجابية التي كان من الممكن فتحها عن طريقها ، بادر إلى الإتصال بالسلطات الفرنسية من خلال بعض الشخصيات المغربية القاطنة بالمنطقة الشرقية ( بورساي / Port-say، وجدة / Oujda وتاوريرت / Taourirt) الذين كانت لهم علاقات وثيقة ببعض الأطراف الفرنسية أهمها دانييل ساي ( Daniel say ) فكلّف علوش بن علي ( عم حدو ) للقيام بزيارة لبورساي ، قصد فتح قنوات للتواصل والحوار مع السلطات الفرنسية خاصة وأنه كان يعلم إلى أي حد ساهمت قضية طنجة ، وموقف إسبانيا أثناء الحرب العالمية الأولى في تدهور العلاقات الإسبانية الفرنسية

وفي هذا الإطار توصل محمد بن عبد الكريم برسالة من لدن دانييل ساي في 10 سبتمبر 1921 ، يطلعه فيها أنه

---

1 أقصد وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ( Quai d'orsay ) و( Vincennes ). والوثائق الإسبانية ( Alcala d'Henares )

استقبل مبعوثه علوش ، وأنه مباشرة بعد ذلك ، بادر بإرسال برقيات مؤيدة للمقاومة الريفية إلى الصحافة الفرنسية بالمتربول وبعد ذلك تدلنا الوثائق المتوفرة أن محمد بن عبد الكريم سيكلف حدو بن حمو بملف الإتصالات مع الفرنسيين ( تجار ، رجال أعمال أو سلطات رسمية ) إذ يتضح ذلك بجلاء في رسالة بعث بها الضابط تيري ( Thierry ) نائب حاكم تاوريرت لحدو بن حمو بتاريخ 20 نوفمبر 1921 ، يهنئه فيها بتقلده للمهام الجديدة أهنئك لارتقائك إلى خطة القيادة السياسية أعادها الله بالنفع على إخوانك ، وأحبائي أهل الريف

ومنذ ذلك الحين أصبح حدو بن حمو المحرك الأساسي للديبلوماسية الريفية والمحاور الرئيسي للأطراف الأجنبية عامة والفرنسية خاصة[3] وفي هذا الإطار توصل فيما بعد برسائل أخرى من لدن تيري يعبر فيها هذا الأخير عن تأييد الإدارة الفرنسية للمقاومة الريفية في حربها ضد القوات الإسبانية ، ويحُثُّ قيادتها على مواصلة

2 وثائق وزر لخارجية الفرنسية
AAE 517 Lettre dateé du 20 Novembre 1921

3 انظر أطروحتنا فرنسا وحرب الريف 1921 ـ 1926 جامعة ليون II 1989

الكفاح[4] ومع حلول سنة 1922 نلاحظ تعدد أنشطة حدو وتشعبها وتركيزها على مختلف الواجهات

**● الواجهة السياسية :**

- لقائه بالجنرال حاكم وجدة

- قيامه بزيارة للمتربول صحبة محمد أزرقان ودانييل ساي ، قصد التباحث مع مسؤولين فرنسيين وعلى رأسهم الماريشال ليوطي

وعن دواعي هذه الزيارة والأهداف المتوخاة من ورائها يقدم لنا حدو ، في رسالة موجهة إلى محمد بن عبد الكريم ، معطيات دقيقة أهمها الإقتراح الذي قدمه له حاكم بركان بالسفر إلى باريس للإجتماع بليوطي ، المتواجد آنذاك بالمتربول قصد العلاج[5]

4-" Nous sommes remplis de joie aux nouvelle. avance et de votre victoire sur votre ennemi et les rapports que vous entretenez avec ceux qui sont vos amis la France par exemple (...
Quant aux Espagnols n'ayez aucune crainte de leur côté sont des incapables
( Archives des affaires étrangères ) رشيف وز الخارجية الفرنسية
AAE 520

رسالة مؤرخة في يوليوز 1922
نظر كذلك رسالة مؤرخة بتاوريرت في 20 نوفمبر 1922 ( AAE 518 )
- رسالة مؤرخة في 16 يناير 1922 AAE .517

ومما يؤكد الدور الهام الذي لعبه حدو في تحريك آليات النشاط الديبلوماسي للمقاومة الريفية ، تركيز محمد أزرقان في إحدى رسائله الموجهة لمحمد بن عبد الكريم ، بتاريخ 26 يناير 1922 من مرسيليا على الحفاوة البالغة التي حظي بها الوفد الريفي من طرف من يصفهم بأصدقاء حدو[6]

ودانييل ساي بدوره يشير في رسالة موجهة لقائد المقاومة أنه توصل برسالته بواسطة حدو بن حمو ، ويطلعه أنه بإمكان مبعوثيه الإلتحاق بالمنطقة الفرنسية عن طريق بورساي ( Port-say )[7]

كما أنه أثناء قيام الوفود الريفية بزياراتها إلى المتربول ، كانت الإتصالات تتم بمحمد بن عبد الكريم الخطابي وقيادة المقاومة ، عن طريق مكتب فورو ( Fourroux ) ببورساي ؛ بحيث أن هذا الأخير كان

6-AAE .518 Marseille St charles le 26 Janvier 1922

من محمد أزرقان إلى محمد بن عبد الكريم الخطابي

7-" Pour ce qui est de ce que vous m'avez demandé , vos frères et compagnons pourront se rendre en France où ils voudront personne ne les empêchera .Dites leur de venir chez moi en secret pour éviter que les espions espagnols ne plaignent aux autorités françaises et recommandez leur de revêtir de beaux habits

يقوم بإرسال كل ما كان يتوصل به من فرنسا إلى أجدير عن طريق مبعوثين خاصين ( رقاصة ) ، كما كان يعمل على نقل تعليمات القيادة الريفية للوفود الموجودة سواء في فرنسا أو في الجزائر وهذا ما يتضح بجلاء من خلال الرسائل المتوفرة نذكر على سبيل المثال ، رسالة 2 فبراير 1922 التي يطلع فيها فورو ( Fourroux ) محمد بن عبد الكريم أن القائد حدو ومن معه موجودون بباريس ، وينهي إلى علمه أنه أبلغهم محتوى رسالته[8]

● **الواجهة التجارية :**

لقد استطاع بن حمو تحقيق نتائج إيجابية في هذا المجال ، من خلال نجاحه في توظيف شبكة هامة من العلاقات التي تمكن من نسجها ، خاصة في وجدة وبورساي مع شخصيتين رئيسيتين : مارسيل بيبيل ( Marcel peyvel ) ، وفورو ، اللذين كانت لهما اتصالات مستمرة معه ويتضح من خلال الرسائل المتبادلة بين حدو وكل منهما أن مارسيل كان مكلفا بإمداد حركة

8-" Le caid Haddou si Abdelkrim ( Ben Ziane ) et Monsieur Bourmancé actuellemnet à Paris Ils m'ont prévenu par télégramme et par lettre AAE 518 Port say 2 fevrier 1922.

المقاومة بكل ما كانت تحتاجه من مواد ، خاصة قطع الغيار التي كانت مفقودة في الريف[9] كما كان يقوم بدور الوسيط بين حدو ووجهات أخرى لها إتصالات مع قيادة المقاومة.[10]

أما فورو ، فبالإضافة إلى المهام التي أشرنا إليها آنفا تتضمن رسائله إقتراحات عملية لتنشيط عملية التبادل التجاري بين الريف والجزائر إلا أن محاولاته لم ترق إلى مستوى التطبيق ، بالرغم من إلحاحه على ذلك في رسائل متعددة [11] لإعتبارات كثيرة أهمها حالة الحرب التي لم تكن لتساعد على القيام بعمليات من هذا النوع كما أن

9-" Je vous envoie par Amar Haddou le restant des objets et notamment un ressort de l'auto Ford de la peinture des pointes du chebb la chaîne de l'auto que j'ai reçu de M.Girsoni de Tlemcen et enfin le pignon d'attaque que j'ai reçu de de M.Bervies d'oran Oujda le 5 février 1925 Archivo General de administracion - ( Alcala d'Henares ) carton M3.

10-" J'ai remis vos lettres à Errahmani et Errahamani vous a répondu en vous disant qu'il ne peut vous envoyer ce que vous lui aviez demandé Benaoude pour les couvertures nous a fait attendre jusqu'à 10 heures pour moi c'est un fumiste seulement Idem

11-" J'aurai besoin qu'on m'envoie (..) des boeufs aches mules et chevaux sans marque ce bétail doit passer jusqu'à MAGHNIA où j'ai des écuries pour cela . je paierai tous ces animaux ( ) AAE 518. Port say 6 Mai 1922 / (AAE 518) Port say 28-Mai 1922

منطقة الريف لم تكن تتوفر على فائض للتصدير، بل كانت بدورها في حاجة إلى ذلك

قصارى القول ، إن الإنفتاح على المنطقة الشرقية إبان المرحلة الأولى من حرب الريف أتاح لحركة المقاومة الريفية القيام بكثير من المبادرات سياسية - ديبلوماسية وإقتصادية - تجارية ، وتحقيق نتائج إيجابية كان لها أبلغ الأثر على مسارها في مواجهة التغلغل الإستعماري الإسباني[12] لكن ثمار هذا الإنفتاح سرعان ما تلاشت بالتدخل المباشر لفرنسا في الصراع القائم[13] وبذلك يتضح أنه خضع لمنطقين متناقضين ( السلطات الفرنسية - قيادة المقاومة ) ، ارتبط كل منهما بمصالح وتطلعات كل طرف بموازاة مع أهدافه التكتيكية ومراميه البعيدة

## II - المرحلة الثانية

بعد أن شكلت المنطقة الشرقية قاعدة خلفية لحركة

يجب التأكيد قيادة المقاومة الريفية راهنت على منفذ المنطقة الشرقية كعمق إستراتيجي عملت على إستثماره قدر الإمكان للتواصل مع الخارج والحصول على الكثير من الحاجيات التي كانت في أمس الحاجة إليها

13 السلطات الفرنسية كانت تهدف أساسا ما بين 1921 - 1923 إلى خلق متاعب إضافية لإسبانيا لإجبارها على تليين موقفها فيما يخص مستقبل طنجة وإيجاد الحلول المرضية فيما يتعلق بالمشاكل العالقة بين القوتين الإستعماريتين منذ 1912 وعلى رأسها المشكل الحدودي للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر مقالنا

Le Maroc dans les relations franco espagnoles 1912 1923. Revue de la Faculté des Lettres de Tetouan n:6 pp 45-58

المقاومة بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي أثناء حربها ضد الإسبان أصبحت في المرحلة الثانية ( أبريل 1925 ـ ماي 1926 ) ، منطلقا لأهم الحملات المسمومة التي شنتها السلطات الإستعمارية ، لتفكيك تنظيمات المقاومة ، وَشَلّ آليات تحركها ، وإضعاف جبهتها الداخلية

**1 ـ الإتصالات السياسية** قادها المراقب المدني لتاوريرت كابريلي[14] ، بتوجيه من المقيم العام ليوطي مع قيادة المقاومة وممثليها ، وأبرزهم القائد حدو بن حمو وقد توجت بالزيارة التي قام به المبعوث الفرنسي لأجدير في غضون يوليوز 1925 ، بهدف معلن ورسمي ، وهو إيجاد حل سلمي تفاوضي للصراع القائم ، وهدف سري ، تثبته الوثائق الفرنسية ، وهو الإطمئنان على أحوال الأسرى الفرنسيين ، والإطلاع مباشرة على الوضعية العامة بمنطقة الريف لذلك لم يتأخر المراقب المدني بعد عودته من الريف ، في صياغة تقرير مفصل عن المقاومة الريفية أتاح للسلطات الإستعمارية فيما بعد ، إتخاذ القرارات العسكرية والسياسية المناسبة ، إستنادا على المعطيات الجديدة التي بلورها

14-Gabrielli léon Abdelkrim et les événements du Rif ED.Atlantides Casablanca 1953

## 2 ـ مؤتمر وجدة

إذا كان التحالف الفرنسي ـ الإسباني بقيادة الماريشال بيتان والجنرال بريمو دي ريفيرا، قد استطاع تحقيق إنجاز عسكري هام في خريف وشتاء 1925[16] فإن الرأي العام بالمتربول كان قد وصل إلى درجة جد متقدمة من التذمر والتنديد بالمنحى الخطير الذي عرفته أحداث وفصول حرب الريف وقد تبلور ذلك بشكل واضح ، في الإنتقادات الصريحة التي أصبحت توجه للسياسة الفرنسية داخل الإئتلاف الحاكم ( كارتيل اليسار ) نفسه ، بحيث أخذ الحزب الإشتراكي ( SFIO ) يهدد بالإنسحاب من هذا الإئتلاف ، إذا لم تعلن الحكومة الفرنسية عن مبادرة سياسية كفيلة بإيجاد حل سلمي للأزمة القائمة

في خضم هذه التطورات والمستجدات أعلنت هاته الأخيرة عن مبادرتها السلمية المعروفة بـ مؤتمر وجدة [17] التي لم تكن في حقيقة الأمر إلا مناورة سياسية

---

15-AMG ( Archive. du ministère de la guerre ) vincennes Rapport de contrôleur civil Gabrielli - Juillet 1925

16 أنظر أطروحتنا الفصل XI ـ ص ص 304 ـ 346

17 ـ أنظر مقالنا

Observations sur les causes de l'échec du mouvement rifain PP Revue d'histoire maghrébine Tunisie N 75 - 76 Mai 1994 235 - 219

موجهة للإستهلاك الإعلامي ، قصد طمأنة الرأي العام الفرنسي وتحميل مسؤولية إستمرار المعارك والإستعمال المكثف للطيران والأسلحة الفتاكة لقيادة المقاومة وخاصة لمحمد بن عبد الكريم الخطابي

انطلقت أشغال هذا المؤتمر يوم 18 أبريل 1926 ، بحضور الوفود الثلاثة الممثلة لكل من فرنسا وإسبانيا والمقاومة الريفية[18] وقد اعتقد الكثير من الملاحظين والمتتبعين[19] أن الأطراف الرئيسية الإستعمارية كانت جادة في البحث عن حل تفاوضي لكن الشروط التعجيزية التي طرحت على الوفد الريفي في الجلسة التمهيدية ليوم 17 أبريل 1926 كانت ، في نظرنا كافية لفضح نواياها الحقيقية ، والمتمثلة أساسا في التحضير للعمليات العسكرية التي كان يتم إعدادها على قدم وساق بتنسيق محكم بين القيادتين الإسبانية والفرنسية للقضاء نهائيا على حركة المقاومة وهذا ما تم بالفعل في غضون الأسبوع الأول من شهر ماي 1926 ●

18 انظر مقالنا ، Les négocitsions franco - rifaines 1924- 1926 un processus lent et illusoire Revue d'histoire maghrébine Tunisie- Numéros 63 - 64 Juillet 1991 PP 295 213
19-Harris ( W.B ) . France Spain and the Rif EDward Arnold London 1927. pp 273 304

**« سيناريوهات خيالية عن تورط الألمـان والأتراك ، في حرب الريف . »**

# أرشيف " حرب الريف "

لقد شكلت المقاومة الريفية كما هو معلوم إمتحانا عسيراً للقوى الإستعمارية ( فرنسا وإسبانيا ) ، التي كان عليها أن تواجه حركة من نوع جديد ذات تنظيم محكم وإستراتيجية محددة توجد على رأسها شخصية كارزمية ، استطاعت أن توفّق في مختلف مراحل الكفاح ، بين المواجهة العسكرية والتحرك السياسي ( التكتيكي ) هاته الخصائص التي تميز المقاومة الريفية عن غيرها من الحركات التحررية أهّلتها

للتصدي بنجاح ، لفترة غير قصيرة ، للمطامع الإستعمارية الإسبانية فيما بين 1921 ـ 1925 ثم الفرنسية ابتداء من أبريل 1925 ، والقوتين معاً ابتداء من سبتمبر 1925 حيث تجسد بالملموس التحالف الفرنسي الإسباني ، بشن الحملات الهجومية المنسقة بين القيادة العسكرية للبلدين ( بيتان وبريمو دي ريفيرا ) ، الذي توج بالقضاء على حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي ، وإستسلامه في نهاية ماي 1926

يمكن القول ، بإيجاز شديد إن المنطقة الشمالية عرفت خلال السنوات الخمس التي استغرقتها حرب الريف تطورات خطيرة ومستجدات مدهشة ، وأحداثا متعاقبة أدت في نهاية المطاف إلى اتساع نطاق المواجهة المباشرة من القبائل الريفية ، ليشمل جل قبائل المنطقة الخليفية وأصبحت حركة محمد بن عبد الكريم تمثل ، باعتراف المسؤولين الفرنسيين أنفسهم تهديدا للمصالح الحيوية للمتربول ، ليس في المغرب فحسب ، بل في مختلف المستعمرات في المغرب العربي ، نظرا لانعكاساتها السريعة في المنطقة والصدى الواسع والإيجابي الذي خلفته لدى الرأي العام الوطني والدولي

إنطلاقا من هاته المعطيات كان من الطبيعي أن تفرض

المقاومة الريفية نفسها على الواجهة الإعلامية ، وتحظى باهتمام متميز من مختلف مؤسسات الحماية والسلطات المتربولية ، لتغطية الأحداث المفاجئة والتطورات السريعة التي أعقبتها ، والتفكير في أنجع الوسائل الكفيلة بإحداث الخلل في الجبهة الداخلية لحركة المقاومة لذا ، فإن مراكز الأرشيف الفرنسي تزخر بكميات هائلة من الوثائق حول موضوع حرب الريف ، والتعقيدات الداخلية والخارجية التي ارتبطت بمختلف أطوارها ومراحلها وأخص منها بالذكر وزارة الخارجية الفرنسية ( Quai d'Orsay ) ووزارة الحرب ( Château de Vincennes )

I ـ **وزارة الخارجية الفرنسية ( باريس )** ويضم هذا المركز ما يصطلح على تسميته بـ الأرشيف الديبلوماسي وقد صنفت الوثائق الخاصة بحرب الريف ضمن زاوية ( المغرب ـ تونس من 1917 إلى 1940 ) ، وتتجاوز أعدادها الأربعين مجلدا ، توجد ضمنها وثائق مغربية ريفية يطلق عليها إسم أوراق عبد الكريم / Papiers d'Abdelkrim

إن الوثائق الديبلوماسية تتضمن في مجملها التقارير التي كانت تقوم بإرسالها السلطات السياسية والعسكرية للحماية في المغرب لرئاسة مجلس الوزراء

( La Présidence du Conseil ) ، وكذا المراسلات التي كانت تتم بانتظام بين الإدارة المركزية في المتربول والإقامة العامة ، إضافة إلى المعلومات التي كانت تقوم السفارات والقنصليات الفرنسية في الخارج ، بإبلاغها للحكومة حول الأصداء التي كانت تخلفها حرب الريف في مناطق متعددة من العالم

إن أهم ما يميز هاته الوثائق إضافة إلى طابعها السري الذي يضفي عليها الكثير من المصداقية ، هو تناولها وتطرقها للأحداث الطارئة والتطورات العامة في المدة الزمنية المحددة ؛ إذ تتبلور من خلالها ، في كثير من الأحيان ، وجهات نظر متعددة ، إن لم نقل متناقضة تقدم للباحث مادة غنية يستطيع استغلالها ، لملامسة ما كان يجري في المنطقة الشمالية بعد التدخل الفعلي لفرنسا في حرب الريف إبتداء من أبريل 1925 إذ أصبحت أحداث الريف ، وقائدها محمد بن عبد الكريم يشكلان الهاجس الأساسي للسلطات الفرنسية في باريس والرباط

وباستعراضنا لعيِّنات محددة منها ، نستطيع الوقوف على مدى أهميتها والقصور الذي يشوبها

1 ـ المثال الأول ، يتعلق بالحالة النفسية المتدهورة التي كان يعيشها المقيم العام ليوطي أثناء الفترة الحرجة ما بين

أبريل و يوليوز 1925 ، نتيجة للهزائم المتوالية التي أدت إلى تراجع القوات الإستعمارية أمام زحف المجاهدين الريفيين والجبليين في منطقة ورغة إن الرسائل المتبادلة بين رئاسة مجلس الوزراء وليوطي ، في الفترة الممتدة بين الأسبوع الأخير من شهر يونيو 1925 و 10 يوليوز 1925 ، توضح إلى أي حد أن الوضعية السياسية والعسكرية في المنطقة كانت قد وصلت إلى درجة قصوى من التأزم ويتجلى هذا بوضوح من خلال مضمون المراسلات

- التردد الواضح في اتخاذ القرارات الملائمة
- الإعتراف الصريح بخطورة الموقف في ساحة العمليات والتأكيد على ضرورة التعجيل بفتح مفاوضات مباشرة مع قائد المقاومة
- الإعتراف بفشل القوات الفرنسية في إحراز أي تقدم يذكر ، في مواجهتهم للمجاهدين ، بالرغم من وصول دفعات هامة من التعزيزات العسكرية من المتربول

2 - في المقابل ، تجمع جل التقارير الرسمية التي توصلت بها السلطات بباريس في هاته الفترة على إصدار حكم مفاده أن محمد بن عبد الكريم كان يهدف من وراء توغله في الجبهة الجنوبية ( منطقة ورغة ) ، إلى الدخول إلى مدينة فاس ، وتصر على الدور الحاسم للقوات الفرنسية

فــي مــنــع تقــدّم الحركات الريفيــة والجـبلية إلا أن علمية النقـد الداخلي لقـسم من الوثائق أهمـها مـراسـلات ليـوطي ، رئاسـة مـجلس الوزراء المشـار إليـها آنفـا ، تقـرير الجنيـرال سيـرينيي ( Serrigny ) في شـهر يونيـو 1925 وتقـرير الماريشـال بيـتـان في يوليـوز 1925 والشـهـادات التي حصلنا عليها عن طريق الرواية الشـفاهيـة مكنتنا من التوصل إلى إستنتاجات مناقضة للتقارير الآنفة الذكر

3 ـ يمكن القول إن الأرشيف الديبلوماسي يشفي الغليل من حيث فضح التناقضات ، والصراعات الداخلية في أعلى مراكز القرار السياسي والعسكري في البداية بين ليوطي وبيـتـان ، وفي المرحلة الحاسـمـة من حرب الريف أي عند انطلاق العمليات الهجومية على آخر معاقل المقاومة الريفية في ربـيع 1926 ، حـيث يتـبين لنـا إلى أي حـد تكرست هيمنة الجـهاز العسـكري ( بيتـان) ، وتهمشت الإقـامة العـامـة ( ستيـغ ) إذ أن الوثائق تثبت بحـجج دامغة أن ستـيغ لم يكن على علم بالمفـاوضـات النهـائيـة التي كـانت السلطات العسكرية قد بدأتها مع محمد بن عبد الكريم قبل أيام من إستسلامه[2]

4 ـ هناك تقارير مسـهبة بخصوص مفاوضات مؤتمر

---

1 ـ أنظر ص ص 43 - 56

2-CF Volumes N 510 - 511 ; ( Quai d'Orsay )

وجـــدة " ، عـن كــل اللقـا ءات الرســمـــيـــة التي تمت في الكواليس ، بــين الوفــد الريفي والوفــــدين الفـــرنسي والإسبـاني ، إضافـة إلى البرقـيـات المستـعجلة التي كـانت ترسل إلى وزارة الخارجية[3]

- **أوراق عبد الكريم** / Les papiers d'Abdelkrim[4]:

تضم الوثائق التي استحوذت عليها السلطات الفرنسية بعد استسلام محمد بن عبد الكريم الخطابي وتكتسي أهمية بالغة ، لأنها تساعد على مقاربة وفهم جوانب عديدة من المقاومة الريفية فهي تحتوي على وثائق ثمينة ومراسلات هامة

- مراسلات بين عبد الكريم ( الأب ) وكثير من الشخصيات الإسبانية
- التعيينات السلطانية لعبد الكريم ( الأب ) قاضياً على قبيلة بني ورياغل ومراسلات هذا الأخير للسلاطين
- مراسلات القيادة المركزية للمقاومة وإطاراتها الجهوية
- مراسلات محمد بن عبد الكريم مع بعض الشخصيات الأجنبية : ( Gardiner- Harris .. )

---

3 ـ تزخر الوثائق العسكرية هي أيضا بالمعطيات القيمة عن مفاوضات وجدة انظر خاصة صندوق رقم 3H606

4 ـ لقد جمعت في أربعة أجزاء هي 517 ـ 518 ـ 519 ـ 520

والمغـربـيـة ( الريسـوني ) نعـثـر ، على سبـيـل المثـال ضـمن هاتـه الوثـائق على بعض المراسـلات التي تمـت بـين مـحـمـد بن عـبـد الكريم الخطابي وأحـمـد الريـسـوني والتي تقـدم بالفـعـل مـادة لا يسـتـهـان بهـا ، لمقـاربـة مـوضـوع العلاقات بين الشخصيتين أثناء حرب الـريف كمـا أنـهـا تسلط الأضـواء على الـوافـدين الأجـانب في اتجـاه أجـدير للإتـصـال بـمحمد بن عبد الكـريم ، بغيـة تـوقيع إتـفـاقـيـات لإسـتـغـلال المنـاجـم الريفـيـة ، أو لإسـتجـوابـه ( الصحفيون )

أضف إلى ذلك أن هاتـه الوثائق تقدم معلومات قـيمـة عن طبـيـعـة العلاقات التي كانت قـائمـة بين قـيـادة المقـاومـة والسلطات الفـرنسيـة أثـنـاء المرحلة الأولى من حرب الريف ( 1924 ـ 1921 )[6]

## II ـ أرشيف وزارة الحرب ( قصر فانسين )[7]

وهو عـبـارة عن فـسـيفـسـاء من الوثائق الهـامـة والفـريدة في بعض الأحـيـان ، تضم تقـارير مـفـصلة ( يومـيـة ـ أسـبـوعـيـة ـ

6 ـ إنهـا بإيجاز شـديد تزخر بالوثائق التي تمكن الباحث من القيام بمقـارنة موضـوعيـة مع ما يرد في ، الوثائق الإستعمـارية ، الآنفة الذكر ومن التوصل إلى إستنتاجات تؤكد أو تدحض ما تقدمه من أطروحات

7-CF Arnand de Meuditte ( Chef d'escadron ) et Jean Nicot. ( Conservateur ) Répertoire des Archives du Maroc , Série 3H Fasicule 1 Etat Major de l'Armée de Terre ( 1877 1960 ) Château de Vincennes - 1982

شهرية ) ، عن سير العمليات العسكرية ( البرية الجوية والبحرية ) في مختلف جبهات القتال الشرقية ( مليلية - الناظور ) ، الغربية ( شفشاون - وادلاو - بن قريش ) والجنوبية ( ورغة - تازة - وزان ) ولعل أهم ما يميز هاته الوثائق هو عددها الوافر ، ومصادرها المتنوعة أي من مختلف الأجهزة العسكرية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الأمثلة التالية

- الصناديق رقم 3H 597 - 598 - 599 - 600 - 601 التي تقدم معلومات دقيقة عن العمليات العسكرية ، والتعليمات القيادية ، والتعزيزات العسكرية ( البشرية - التقنية ) التي كانت تصل من المتربول والجزائر والسينغال . . .

- وثائق قيادة الماريشال بيتان بمكناس ، في الفترة التي قضاها على رأس القوات الإستعمارية للقضاء على حركة المقاومة الريفية فهاته الذخيرة تساعد على رصد المواقف المتعارضة والتصورات المتناقضة داخل القيادة العسكرية التي كانت تترجم الصراع القائم بين الضباط الليوطيين ( Lyautéens ) والبيتانيين ( Pétainistes ) وتضم أكثر من عشرين صندوقا ( من 3H 602 إلى 3H 627 )

ـ المنوغـرافـيـات ( Monographies ) الدقـيـقـة والمركزة التي أنجزها ضـبـاط الشؤون الأهلية ، عـن القبـائل الريفيـة والمحـاذية لجبهـة القـتـال ( فـاس ـ تازة ـ وزان ) فـهي تقـدم معلومات مفصلة عن الحياة الداخلية في القبائل ( الأعيان الصراعات داخل القبيلة ، النشاط الإقتصادي ، الإمكانات العـامة في حـالة التـعبـئة ) وقـد شكلت بالفـعل سلاحـا هامـا في أيدي قـسـم الإسـتـعـلامـات للعـمـل على إنجـاح التـحـرك السـيـاسـي لـدى القبـائل لحـثـهـا علـى طلـب الأمان "[8]

ـ التـقـريـر المفـصل الذي أعـده ليـفي بروفـنسـال حـول دور الزوايا في حـركـة مـحـمـد بـن عـبـد الكريم الخطابي[9] وقـد أتاحت لنا الرواية الشـفـوية التـأكـد من كـثـيـر من المعلومـات الواردة فـيه ، خاصة فـيما يتعلق بالزاوية الوزانيـة وأنشطتـها بقـبـائل غـمـارة ، والدور الفـعـال الذي لعـبـتـه في التـعـبـئـة الجهادية[10]

ـ الرسائل التي بعث بها محمد بن عبد الكريم إلى بعض

---

8-CF 3H437 3H438

9-CF 3H438 Rapport de lévi provençal sur " les Influences religieuses dans le Rif " , Mars 1926 70 Pages

10 إن أهم الشـهـادات التي حـصلنا عليـهـا هـي التي أدلى بهـا المرحـوم المكي الوزاني بدوار إيشـوكـن ( قـبـيلة بـنـي خـالد ) الذي كـان ، مـقـدم ، الزاوية الوزانيـة بالمنطقـة وتقلد مـسؤوليـة قـائد القبـيلة المذكورة ثم عـينه بن عبـد الكريم قائدا عاما على قبائل غمارة ( أنظر أطـروحتنا ص ص 140 ـ 143 )

قادة المقاومة المغربية والأعيان ، والعلماء ونجدها مبعثرة في كثير من الصناديق ( 3H 437 ـ 3H 102 ... )

ـ ولا يفوتني أن أشير إلى تقارير الضابط روبير مونطانيي حول الظروف التي تمت فيها عملية استسلام قائد حرب الريف ، والتي تتناقض كليا في محتواها مع ما كتبه مونطانيي عن محمد بن عبد الكريم وحركته إبتداء من بداية الثلاثينيّات هاته التقارير توجد ضمن الوثائق المحفوظة في صندوق رقم 3H 623

ـ تقارير قسم الإستعلامات التي نعثر عليها في المركزين معاً (Quai d'Orsay ) و ( Vincennes )[11]

ويمكن القول ، إن قاسمها المشترك هو اصطناعها ، في أغلب الأحيان ، لسيناريوهات خيالية عن التورط البلشفي الألماني والتركي في حرب الريف إلى جانب حركة محمد بن عبد الكريم إذ تصل إلى حد ذكر أسماء الكثير من الضباط السوفيات والأتراك الذين قامت الأممية الثالثة ( Komintern ) والحكومة التركية ـ حسب ما تزعم هاته التقارير ـ بإرسالها إلى الريف ، للوقوف إلى جانب قوات المقاومة ، والمشاركة في إعادة تنظيم جهازها العسكري تنظيما عصرياً وقد اتضح الآن للجميع ، أن

11 ـ أنظر بصفة خاصة الصندوق رقم 3H 102 ( Vincennes ) والمجلد 538 ( Quai d'Orsay )

هاته المعلومات ماهي إلا افتراءات قام بنسجها ضباط المخابرات الفرنسية لإيجاد تفسيرات وهمية وذرائع لإنجاح مسلسل التعبئة في المتربول ، ووسيلة للضغط على الرأي العام الفرنسي الذي كان منقسما حول السياسة التي كان يجب إتباعها تجاه محمد بن عبد الكريم[12]

إذن ، يمكن استخلاص الملاحظات التالية

- بالرغم من تعدد الوثائق المحفوظة وتنوعها في المركزين المذكورين ، فإن الطابع الذي يميزها هو تكامل محتوياتها إلى حد بعيد

- لا يمكن إنكار الأهمية البالغة لهاته الوثائق إلا أنه يجب التعامل معها بالنظرة الحذرة والمتأنية للباحث ، ومقارنتها بمختلف المصادر الوثائقية الأخرى المكتوبة والشفاهية ، خاصة المغربية منها

- إن الإستثمار الكلي والموضوعي لهذا الأرشيف لن يتأتى بصفة نهائية إلا بعد الإطلاع على الوثائق المغربية التي لا يزال الباحثون يجهلونها حتى الآن ●

---

12-CF Les travaux de Ceorges Oved et notamment le plus récent d'entre eux la contribution des services spéciaux à la politique de la France au Maroc de 1920 à 1955 , in Police et Politique sous la direction de C Journès , p.u.l 1988 , pp 69 - 94

« إما الإستمرار في الزحف نحو فاس ، تازة ، وزان ، أو اتخاذ موقف دفاعي . »

# مواجهة التحدي الإستعماري

بحلول يوم 13 أبريل من كل سنة تحل ذكرى اندلاع ما يصطلح على تسميته بـ الحرب الفرنسية ـ الريفية بعد مرور ما يناهز أربع سنوات على معركة أنوال الخالدة

ونظرا للأهمية البالغة التي يكتسيها هذا الحدث باعتباره منعطفا حاسما في سيرورة كفاح القبائل الريفية والجبلية ضد القوى الإستعمارية ، ولما كان له من انعكاسات مباشرة على طبيعة المواجهة ومستقبل موازين القوى بالمنطقة

الشمالية ، فإننا بادرنا بإنجاز هذه الدراسة تخليدا للذكرى لإبراز مغزاها التاريخي وللمساهمة ، قدر الإمكان ، في توضيح بعض الجوانب الغامضة من ملحمة حرب الريف ومناقشة بعض الأطروحات الإستعمارية الجاهزة ، قبل استشراف بعض الخلاصات الهادفة إلى ربط الماضي بالحاضر

تعتبر جل الكتابات الإستعمارية أن القوات الفرنسية أجبرت على التدخل العسكري المباشر في الحرب بعد المبادرات الإستفزازية التي قامت بها الحَركَات الريفية والجبلية بمنطقة ورغة بإيعاز من قيادتها المركزية بأجدير هذا الطرح ، الذي ينبني على معطيات مغلوطة وأحكام واهية يدفعنا إلى الوقوف عند أهم المحطات التي ميّزت مرحلة (1921 ـ 1924 ) ، الحافلة بالمستجدات الإستعمارية الفرنسية الهادفة إلى تقويض دعائم حركة المقاومة والحد من تأثيرها ونفوذها ، لكي نستطيع بعد ذلك إستيعاب وملامسة مختلف العوامل التي ساهمت بشكل أو بآخر في تفجير الصراع العسكري في 13 أبريل 1925

في البداية ، يجب التأكيد على الطابع التكتيكي للتقارب الفرنسي ـ الريفي طيلة السنتين الأوليتين للحرب

الذي توج بزيارات شبه رسمية ، قام بها مسؤولون ريفيون إلى كل من المنطقة السلطانية ( فاس - تاوريرت - وجدة ) ، والجزائر ( وهران ، تلمسان ) والمتربول الفرنسي ( مرسيليا ، باريس ) إلى جانب التسهيلات التي قدمت من طرف السلطات الفرنسية بمنطقة الحدود الشرقية لمبعوثي المقاومة ، لإقتناء ما كانوا يحتاجونه من مواد وتجهيزات لأنه بالرغم من أهمية هذا التقارب والآفاق الإيجابية التي ساهم في فتحها بالنسبة للمقاومة الريفية ، فإن الإختيار المرحلي ( فتح قنوات للتواصل والحوار ، وربط علاقات ثنائية طيبة مع قادة المقاومة ومبعوثيها للسلطات الإستعمارية ، وعلى رأسها الماريشال ليوطي ) تم تحديده وفقا للظرفية السياسية والعسكرية بالمغرب آنذاك ؛ فعلاقاتها المتدهورة مع إسبانيا ، وتفاقم المشاكل العالقة بينهما ( مشكل الحدود بين منطقتي نفوذهما ، مصير منطقة طنجة الدولية وآثار الموقف الإسباني أثناء الحرب العالمية الأولى ) دفعها إلى التعامل مع المقاومة الريفية و دعمها لتحقيق مآربها ، وخاصة ما يتعلق بتليين الموقف الإسباني ، بعد الهزائم التي حصدتها القوات الإسبانية قبل معركة أنوال

وبعدها وهذا ما استطاعت تحقيقه بالنسبة لمستقبل منطقة طنجة قبل نهاية 1923 ، وكذلك إنهاء تطبيق المشاريع ذات الأولوية القصوى ويدخل في هذا الإطار ، إلى جانب المغرب النافع - حسب تعبير ليوطي - ممر تازة الذي كان يحظى بأهمية حيوية لضمان خط الإتصال مع المغرب الشرقي والجزائر الفرنسية ، ومنع كل علاقة مباشرة فيما بعد بين المقاومة الريفية والمجاهدين في الأطلس المتوسط عامة ، وبني وراين خاصة

**- إحتلال المواقع الإستراتيجية على ضفاف نهر ورغة :**

بعد أن حققت هدفها المنشود من التقارب التكتيكي بالمقاومة الريفية مع نهاية سنة 1923 ، انتقلت السلطات الإستعمارية في تعاملها مع حرب الريف من مرحلة المهادنة والمغازلة والترقب ورصد التحركات إلى مرحلة التحضير الجدي لإيقاف المد التحرري للمقاومة الريفية بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي

والجدير بالإشارة أنه ابتداء من الشهور الأولى لسنة 1924 أصبحت الحالة العامة على الحدود بين المنطقتين الفرنسية والإسبانية تتميز بما يلي

ـ الفشل الذريع الذي مُنِيَت به تحركات بعض حلفاء فرنسا خاصة في گزناية ومرنيسة كان له أثر إيجابي على معنوية سكان القبائل المجاورة ، وأذكى حماسا إضافيا في صفوف المجاهدين مما ساهم في تعزيز دينامية المواجهة ضد المستعمر بمعنويات مرتفعة وصلبة

ـ تأكُّد المسؤولين الفرنسيين أن النشاط السياسي الذي كان يشكل حجر الزاوية في تحركاتهم الإستقطابية بالمنطقة لم يعد كافيا لحماية مصالحهم الحيوية

كل هذه المعطيات ، المرتبطة بالمعادلة الجيو ـ سياسية بالمنطقة أخذت تقلق السلطات الفرنسية أكثر من أي وقت مضى ومنذ ذلك الحين ، لم يتوقف المقيم العام ليوطي عن إطلاع المتربول بخطورة الوضعية التي يمكن أن تؤدي ، في نظره ، إذا لم تتم معالجتها ومواجهتها بسرعة إلى هدم كل ما تم بناؤه منذ أكثر من عقد من الزمن

وفي هذا الإطار ، ركز ليوطي في تقرير أرسله إلى وزارة الخارجية بتاريخ 13 فبراير 1924 ، على التأييد الشعبي الكبير الذي أصبح يحظى به محمد بن عبد الكريم لدى مختلف القبائل المحاذية لنهر ورغة ، خاصة بعد الهزيمة الساحقة التي ألحقت بحلفاء فرنسا وألح على ضرورة

احتلال المرتفعات الإستراتيجية الواقعة على ضفاف ورغة لتشكل مراكز متحركة كفيلة بمراقبة تحركات قوات المقاومة ، وسداً منيعا أمام أي هجوم مفاجئ من طرفها وهذا بالفعل ما أقدم على تطبيقه في الأيام الأخيرة من ماي 1924 ، بعد أن وفر تغطية ديبلوماسية ، بإرساله لأحد أعيان فاس ، لفتح مفاوضات مع محمد بن عبد الكريم

**ـ إحتلال قبيلة بني زروال وانفجار الصراع الفرنسي ـ الريفي :**

إن توغل القوات الفرنسية داخل تراب قبيلة بني زروال إبتداء من سبتمبر 1924 ، شكل الشرارة الأولى التي أدت بعد شهور معدودة إلى انفجار الأزمة بشكل رسمي ومنذ ذلك الحين أصبح كل طرف يركز في عملياته العسكرية انشغالاته اللوجستيكية ، على هذه المنطقة بصفة أساسية التي تتميز بموقعها الجيو- إستراتيجي ومؤهلاتها الطبيعية والإقتصادية

لذلك ، فإن قيادة المقاومة التي كانت قد استوعبت جيدا درس ماي 1924 ، لم تكن مستعدة للسماح ، هذه المرة للقوات الإستعمارية بتكريس سيطرتها على الأجزاء المتبقية من قبيلة بني زروال ، ووضعها بذلك أمام الأمر الواقع

مثلما حدث عند احتلال المواقع الإستراتيجية ، خاصة وأن الكثير من وفود هذه القبيلة وجيرانها كانت قد زارت أجدير عدة مرات ، للتعبير عن امتعاضها من الممارسات الخيانية لبعض الأعيان ، وإلتحاقهم بحركة المقاومة ضد المستعمر

في خضم هذه التطورات ، تجمعت ثلاث حَركَات للمقاومة بمحاذاة قبيلة بني زروال ، مُتَكَوِّنَة أساساً من مجاهدين من القبائل الريفية غزاوة ، بني مستارة ، بني احمد ، بني خالد ، وقبائل غمارية أخرى وبمجرد ما لاحظت هذه الأخيرة تحرك القوات الإستعمارية في اتجاه الشمال ، متجاوزة بذلك الخطوط الحمراء التي تم إبلاغها للإقامة العامة عن طريق مبعوثين رسميين ، سارعت إلى التقدم نحو تراب القبيلة المذكورة ، واستطاعت خلال الأيام الأولى ( يومين ) من فرض سيطرتها المطلقة على مختلف أرجاء بني زروال ، وهذا ما تؤكده الوثائق العسكرية والديبلوماسية الفرنسية

والجدير بالذكر أن الإنتصارات الباهرة والسريعة التي أحرزها المجاهدون ، في زحفهم على الجيوش الفرنسية أعقبها إلتحاق القبائل المجاورة بتلقائية وحماس بصفوف حركة المقاومة وترتب عن ذلك إتساع رقعة الصراع

العسكري ، لتشمل جنوب منطقة ورغة وشرقها وغربها في إتجاه فاس ، وزان ، وتازة وأصبحت بذلك مساحة جبهة القتال تفوق 300 كلم

إن أهم ما يطبع الفترة الفاصلة بين أبريل - يوليوز 1925 ، في جبهات القتال الثلاث ( فاس تازة ، وزان ) يمكن اختزاله فيما يلي

- تجاوز التنظيم العسكري المعروف بـ" المراكز المتحركة الذي وضع هندسته الماريشال ليوطي ، بعد أن تأكدت محدوديته خلال الأيام الأولى من المواجهة إذْ أنَّ جُلَّ هذه المراكز سقطت في يد المجاهدين أو تم إخلاؤها في ظروف جد صعبة بعد أن ظلت محاصرة لمدة طويلة وهنا لابد من التنويه بخطة الحصار الصارم والفَعّال ، التي كان يسلكها المقاومون بدقة وانضباط ، لأوامر محمد بن عبد الكريم الخطابي

- إن التدفق المتواصل للتعزيزات العسكرية من المتربول والمستعمرات على السواء طيلة هذه المدة ، لم يكن كافياً لإحداث أي تغيير يذكر في ساحة العمليات العسكرية نظراً لالتحاق أهم القبائل المجاورة لفاس تازة ، ووزان بحركة المقاومة ، وقيامها بأنشطة مكثفة ، أربكت

المسؤولين الإستعماريين ، وأفشلت كل مخططاتهم بل أكثر من ذلك أصبحت المدن الثلاث السالفة الذكر مهددة بالسقوط في أيدي المجاهدين إلى حد أن الجينرال كامباي ( قائد جبهة تازة ) ، أجبر أمام التقدم الكاسح للمقاومين والخسائر الفادحة التي لحقت بقواته ، على تقديم طلب مستعجل لليوطي في 22 يوليوز 1925 ، يدعوه فيه إلى الإستجابة لقرار الإنسحاب من تازة لتفادي الكارثة لكن هذا الأخير كَثَّف من إرسال التعزيزات العسكرية ورفض طلبه

- إن قيادة المقاومة ، وعلى رأسها محمد بن عبد الكريم ، كانت أمام خيارين في غضون شهر يوليوز إما الإستمرار في الزحف نحو المدن الثلاث ( فاس تازة وزان ) وتَحَمُّل التبعات المتشعبة لهذا القرار ، خاصة وأن القوات الإسبانية كانت قد نشطت كل جبهاتها ( الشرقية والغربية ) ، وكان ذلك يتطلب من القيادة دراسة دقيقة ومتأنية للوضعية العامة ومسلتزماتها أو اتخاذ موقف دفاعي ، لكي تتمكن من رفع التحدي الإستعماري في ظروف ملائمة في هذا الإطار تدلنا الرواية الشفوية أن قيادة المقاومة ارتأت تطبيق الخيار الثاني بعد مناقشات

مستفيضة ، وتحليل دقيق لمختلف الإحتمالات الواردة آنذاك ، وتلتقي « الشهادات » مع مضمون « الوثائق الإستعمارية » ، التي وإن كانت عند حديثها عن مشكل فاس تفضل إصدار حكم قيمة ، بإصرارها على إثبات نية محمد بن عبد الكريم الدخول إلى فاس ولكن رصدها الدقيق للتطورات والمستجدات في القبائل المجاورة للمدينة المذكورة في هذه المدة يتناقض مع حكمها إذ أنها تشير علانية إلى الغليان الشعبي العام الذي كان يسود في القبائل المجاورة وبالتالي يحق لنا أن نتساءل عن الأسباب التي حالت دون إتجاه المجاهدين نحو فاس لو كان المسؤولون الريفيون قد أصدروا تعليمات في هذا الشأن

إن مجرد التفكير في إخلاء تازة من طرف القيادة العسكرية الفرنسية يعني ، في نظرنا ، أن الوضعية العسكرية والسياسية كانت قد وصلت إلى درجة قصوى من التدهور والخطورة لذلك ، فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو كالتالي ماهي المستجدات التي أدت إلى إحداث انقلاب جذري في ميزان القوى ، وأدت في نهاية المطاف إلى إجهاض حركة المقاومة ؟

إن التحاق فرنسا ، باعتبارها قوة إمبريالية لها حضور

متميز على المستوى الدولي كشريك لإسبانيا في حرب الريف ، شكّلَ البداية الفعلية لسيرورة تغيير ميزان القوى على جميع المستويات وتأكد ذلك انطلاقا من يوليوز 1925 ، بالمؤشرات الأولى للوفاق الفرنسي الإسباني ، إلى حين التوصل إلى صيغ عملية للتنسيق العسكري بين القوات الفرنسية والإسبانية

**- المفاوضات الثنائية : التوقيع على الإتفاقيات والتحضير للعمليات المنسقة :**

بما أن السلطات الفرنسية كانت تدرك جيدا أن الخطر الذي كانت تمثله حركة المقاومة بالمغرب خاصة وإفريقيا الشمالية عامة ، فإنها لم تتوان في أخذ مبادرة الدخول في مفاوضات ديبلوماسية مع الحكومة الإسبانية وفي هذا السياق يندرج إرسال مبعوثها ( مالفي ) إلى مدريد في غضون ماي 1925 ، في محاولة لإقناع السلطات الإسبانية بضرورة تكثيف جهود البلدين ، لإيجاد الحلول الكفيلة بالقضاء على المشكلة الريفية وبالموازاة مع ذلك افتتحت بباريس مفاوضات جادة بين وزير خارجية فرنسا ( بريان ) وسفير إسبانيا ( كينونس دي ليون )

وقد كللت الإتصالات الديبلوماسية بمدريد وباريس

بتوقيع عدة إتفاقيات تقضي جميعها بفرض حصار بري وبحري حول المنطقة الشمالية ، ووضع خطط لخوض عمليات هجومية ، يتم تنسيقها بين القيادات العليا للبلدين ويكفي الإشارة إلى أن اتفاق 9 يوليوز 1925 ، ينص على التعاون الوثيق بين سلطتي المنطقتين الفرنسية والإسبانية لحراسة الحدود بريا وبحريا ؛ ومراقبة المتاجرة في الأسلحة والذخيرة والمواد الغذائية كما ينص إتفاق 11 يوليوز 1925 على أن مخطط كل العمليات المشتركة يتم وضعه بالتنسيق بين القيادتين الفرنسية والإسبانية بالمغرب ويعرض على حكومتي البلدين

يعتبر الإنزال الإسباني على السواحل الريفية في سبتمبر 1925 ، اللبنة الأولى في صرح التعاون الثنائي بعد توقيع الإتفاقيات السالفة الذكر إذ ساهم التنسيق بين القوات البحرية للبلدين خلال عمليات هذا الإنزال ، في توثيق الروابط بين القيادتين العسكريتين ، وخلق مناخ ثقة بينهما ، وخاصة بين الجينرال بريمو دي ريفيرا والماريشال بيتان يشير هذا الأخير، في نشرة بعث بها إلى الحكومة إلى أن أول مؤشر على توطيد العلاقة بين فرنسا وإسبانيا ، يتجلى في شن الفرنسيين لهجوماتهم شمال

ورغـة ، في الوقت الذي اقـدم فـيـه الإسـبـان على الإنزال بأجدير

لكن تجسـيـد التـحـالف العـسكري العـام ، خـاصـة بين القـوات البـرية كـانت تعـتـرضـه الكثـيـر من العـراقـيـل التي خصصت الفـترة الشـتوية لتذليلها ولهذا الغرض نادى الماريشـال بيتـان بضـرورة مـواصلة المحادثات بشـكل حثيث مع الحكومة الإسـبانيـة ، لحملها على قبـول وإعـداد هجوم منسق باتجـاه قـبـيـلتي بني ورياغل وبني تـوزين في قلب الريف حيث يمكن ـ على حد تعـبـيـر بيـتـان ـ إصـابة قـوة عـبـد الكريم والقـضـاء عليـهـا وتـبـعـا لذلك ، فـإن اللقـاءات الثنائية أصبحت تتم بطريقة دورية وفي هذا الإطار تأتي زيارة بيـتـان لمدريد في الأسـبـوع الأول من فـبـراير 1926 تلبية لدعوة رسمية من رئيس المجلس العسكري وتوقيعهما على إتفاق يحدد بشكل مفصل الأهداف والمخطط الإجمالي للتعاون بين فرنسا وإسبانيا في شمال المغرب

إلى جـانب المجـهـودات الديبلومـاسـيـة المكثـفـة لتـجـسـيـد التـحـالف الشـامـل ، قـامت القـوتان بتـجنيـد كل إمكانيـاتهـا العـسكرية بحـشـد أكبـر عـدد ممكن من التـعـزيزات ؛ برية ، بحـرية وجـوية ، إذ تجـاوزت في مـجـملهـا 400.000 نفـر

وبالموازاة مع ذلك ، قامت بتعبئة أحسن أطرها العسكرية وخير دليل على ذلك ، تعيين بطل فيردان بيتان على رأس القوات الإستعمارية الفرنسية كما أصر الجينرال بريمو دي ريفيرا ، رئيس المجلس العسكري الحاكم في إسبانيا ، على متابعة ملف الريف بنفسه وإدارته المباشرة

لكن وصول التعزيزات الضخمة والحملات الإستنفارية الشاملة ، لم تتمكن من إحداث تغيير سريع في ساحة العمليات العسكرية ، نظرا لبسالة المجاهدين واستماتتهم البطولية ، وإيمانهم الراسخ بعدالة قضيتهم ولم تظهر النتائج الإيجابية للحملات الإستعمارية إلا في غضون خريف 1925 وفي رسالة إستقالته ليوم 24 سبتمبر 1925 ، يشير ليوطي إلى أن العمليات العسكرية الأخيرة ، قد أعادت الأمور إلى نصابها ، بحيث أعادتنا من جديد إلى الخطوط التي كنا نحتلها قبل الهجوم الريفي ويمكن أن نؤكد اليوم بصراحة أن الخطر قد زال وأصبح بالإمكان ، نظرا لأعداد الجيوش المجندة ، مواجهة المستقبل بتفاؤل

كما لا يجب إغفال عامل هام يتعلق بالإستعمال المفرط

لسلاح الطيران ، إذ تم تجنيد أكثر من 44 سربا من الطائرات الحربية ، واستعانوا بمجموعة من الطيارين الأمريكيين الذين ساهموا في المخطط الإنتقامي " الهمجي ، الذي أبان بجلاء إلى أي حد اعتمدت القوات الإستعمارية على أساليب الترهيب والضربات البشعة لإرغام بعض القبائل على تقديم طلب الأمان لجهاز الإستعلامات ، وبالتالي التعجيل بتفكيك تكتل القبائل الملتفة حول حركة المقاومة وإلا كيف يمكن تفسير القصف العشوائي والمكثف للمناطق السكنية ( الدواوير ) والأسواق الأسبوعية وحرق المحاصيل الزراعية مستهدفة أساسا المدنيين العزل من أطفال ، ونساء ، وشيوخ إن اختيار تلك الأهداف عن قصد ، يعني وجود إرادة صريحة لبث الفزع والرعب في صفوف السكان بهدف التوصل إلى خضوع سريع وبدون شروط كما أن استعمال الأسلحة المحظورة خاصة القنابل التي كان يتم إلقاؤها عن طريق الطائرات ، يمثل استهتارا صارخا للمواثيق الدولية التي ساهمت هذه البلدان في صياغتها وصادقت على بنودها

قبل انطلاق الهجومات المنسقة الشاملة التي تم التحضير لها بشكل دقيق بين القيادات العسكرية للبلدين ، انعقد

مؤتمر وجدة ( 18 أبريل ـ 5 ماي 1926 ) ، بحضور ممثلين عن فرنسا وإسبانيا ، وممثلين عن المقاومة الريفية وفي الجلسة الأولية اشترط ممثلو القوى الإستعمارية تطبيق شرطين مسبقين قبل الإنطلاق الرسمي للمفاوضات ويتعلق الأمر بإطلاق سراح أسرى الحرب ، والسماح للجيوش الإستعمارية باحتلال نقط إستراتيجية على ضفاف الكرت ويشير محمد أزرقان في مذكراته إلى أنه باستعراض مندوبي فرنسا وإسبانيا لهذه الشروط التعجيزية تبينت له استحالة التوصل إلى حل تفاوضي ويتأكد تقييم أزرقان في برقية لرئيس مجلس الوزراء يوم 22 أبريل 1926 ، يدعو فيها المقيم العام ستيغ ، إلى جعل القوات العسكرية على أهبة الإستعداد لإنطلاق العمليات بقوة حاسمة ومن أول إشارة وهذا يعني أن مؤتمر وجدة لم يكن في حقيقة الأمر إلا مناورة سياسية ، لتهدئة الرأي العام في المتربول ، الذي استطاع الحزب الشيوعي (SFIC) أساسا ، وبعض فصائل الحزب الإشتراكي (SFIO) ، تحسيسه بخطورة السياسة الإمبريالية المتبعة في المغرب وتمخض عن ذلك تعبئة جزء من المجتمع المدني ، وخوضه نضالات متعددة للمطالبة بضرورة العمل من أجل إيجاد حل سلمي للأزمة القائمة وبعد تطبيق محكم لفصول المسرحية وفقا للسيناريو

المحبوك ، لتحميل مسؤولية إستمرار المعارك لتعنت المسؤولين الريفيين أعطيت الأوامر لشن أكبر هجوم إمبريالي على حركة مقاومة شعبية في التاريخ الحديث والمعاصر ، ليُنهي الفصل الأخير بالإجهاض على الحركة وتطويق إمكانية إستمرارية العمل المسلح

وأترك للقارئ استنتاج أوجه الشبه والإختلاف بين التحالف الفرنسي - الإسباني ( 1925 1926 ) والتحالف الثلاثيني ( 1990 / 1991 ) الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق من خلال استحضار المعطيات التالية ( التعزيزات العسكرية التي تقاطرت على دول الخليج العربي لمدة شهور أهداف القصف اللاإنساني الذي تعرض له الشعب العراقي الصامد لمدة 43 يوما ممارسة التضليل الإعلامي لقاء عزيز - بيكر بجنيف قبيل اندلاع حرب الخليج الحصار الشامل ) وما نتوخاه أساسا ، هو الوقوف عند أحد ثوابت السياسة الإستعمارية الإمبريالية في نظرتها وتعاملها مع الآخر ( الشعوب التواقة إلى الإنعتاق والتحرر ) إذ يتم تغاضي الطرف ، على مستوى الممارسة ، عن المبادئ " والقيم الإنسانية ، حفاظا على المصالح الإستراتيجية والهيمنة الشاملة ●

**« الأستاذ محمد خرشيش في دراسته للمقاومة الريفية ، كان بمثابة من حمل المجهر ، وهو ينتقل بين ثنايا المواقع الجغرافية ، والمفاصل الإجتماعية بين القبائل والزوايا . »**

# دروس الثورة الريفية

## بقلم : الفقيه محمد البصري *

عندما شرَّفني الدكتور محمد خرشيش ، ونحن نجتمع في إحياء ذكرى معركة أنوال بمؤسسة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ، التي دعينا إليها في 27 ـ 28 يونيو 1997 بمدينة برشلونة الإسبانية ، آملا أن أضع مقدمة لكتاب تناول فيه دراسة هذه المرحلة من تاريخ الثورة ، التي يحلو للبعض أن يطلق عليها إسم ثورة الريف وهي في الحقيقة مدرسة ثورية ، دارت دروسها في الريف وتتلمذ عليها ثوار العالم في كل القارات ، وأنجبت قادة عظاما

* من قادة المقاومة الوطنية وأحد مؤسسي حزب القوات الشعبية وعضو بارز في مكتب القوميين العرب

اعترفوا بذلك بعد أن طبقوا هذه الدروس بنجاح ، من أمثال الزعيم الصيني ماو تسي تونغ ، تشي غيفارا ، وهو شي منه

الوثائق التي كان الفضل في تحريرها لباحثين من أمثال الصديق محمد خرشيش ، أثبتت أن العالم الإسلامي رشح محمد بن عبد الكريم الخطابي ليستلم خلافة المسلمين بعد أن أطاح التآمر الغربي الصهيوني بمركز الخلافة العثمانية بمدينة إسطنبول ، إنتقاما من وصولها بمشعل راية الإسلام إلى أبواب النمسا ، وأيضا لرفضها المساومة على أرض فلسطين بخلفية الحروب الصليبية .

إن الأستاذ محمد خرشيش في دراسته كان بمثابة مَنْ حمل المجهر، وهو ينتقل به في ثنايا المواقع الجغرافية والمفاصل الإجتماعية بين القبائل والزوايا ليبرز ماهو إستراتيجي ، وماهو تكتيكي لدى قائد الثورة ، مستحضرا الدور الذي لعبته التناقضات في المرحلة بين كل من إسبانيا وفرنسا ، مركّزاً على توسيع الفجوة بين الرأي العام لكل من هذين البلدين ، والإدارة التي تخطط للعدوان في غفلة من شعوبها أتاحت ديبلوماسية وشبكات الأمير عبد الكريم ، التعريف بعدالة الثورة بعد أن وَسّع دائرة الإيمان بهذه الثورة لدى الشعوب العربية والإسلامية ، ثم أزال بحنكته ما كان راسخاً بين القبائل من تناقضات وصراعات ، عندما كشف عيوب واختراقات سَرّبها الإستعمار قصد مساعدته على الإحتلال .

محمد بن عبد الكريم الخطابي - حسب هذه الدراسة - استمدَّ القوة من عقيدته وثقافته وتراثه النضالي ، لترسيخ الوحدة النضالية لدى القبائل وصهر طاقاتها ، من أجل إنجاز هذه المدرسة النضالية العظيمة . فالإسلام كان قدوته وسلوكه كقائد ، اعتمده مرجعية لبناء المؤسسات التي تحتكم لقضاء مستقل ، لأنه آمن أن العدل أساس الملك ، ولم يغْتَر بعدم استقامة ربط العدالة بالإستبداد ، الأمر الذي يُمَكِّنُ البعض من تبرير الإستبداد بشعار " المستبد العادل" مازج الديبلوماسية بالثورة ؛ بمعنى وظفها لخدمة الثورة واقتدى بالأنبياء ، في التضحية بالنفس من أجل كسب رهان المستقبل .. أراد أن يكرس النموذج الذي لا يرى الأمور بغير عين المسؤول ، ولا تغريه القيادة بالإنجراف نحو جعلها مطية للإستمتاع فهو المنير وليس المستنير ، كما يحلو لمن يردد في قوالب مستوردة هذه العبارة فهي لا تستقيم مع سلوك و دور محمد بن عبد الكريم الخطابي

المستقبل وحده سيجيب على السر بأن القادة المتميزين الذين أنجبهم المغرب طارق بن زياد ، ابن خلدون ، محيي الدين بن عربي ، و محمد بن عبد الكريم الخطابي .. أنجبهم المغرب ، ولكن لم يسَعْ تراب المغرب قبورهم هل السر في أن عبقرية هؤلاء الرجال تربت على أن الأمة التي ينتمون إليها لا تُحد بالحدود الجغرافية ، بل الهوية هي حدودها ؟ فالمكانة الفكرية والروحية والعسكرية عند هؤلاء الأفذاذ

أنجبها المغرب ، ولكن الفضاء الإنساني وحده هو القادر على أن يوفر لهم المكانة اللازمة ، وكأنهم يضيقون بالحدود الجغرافية .. ولذلك اختاروا المجال الإنساني لهويتهم العربية الإسلامية . وفي هذا ، الرد على من يحاول أن يُحَنِّطهم بالأمازيغية ، فهم حملوا العمق الجغرافي والإنساني الذي يمثله المغرب الرابط ما بين إفريقيا وآسيا جغرافيا ، ولكن بهوية تمتد لكل القارات ، حيث كان طابع محمد بن عبد الكريم الخطابي كأستاذ لمختلف المدارس الثورية ، وابن خلدون مؤسس " علم الإجتماع ، وابن عربي مؤسس " المدرسة الروحية " الذي اختار دمشق مركزاً يشع منها على العالم

الإعتماد على أمثال الأستاذ خرشيش ليكشفوا عن مأساة المهدي بنبركة المجهول القبر في الخارج ، هل كان السبب لأنه عمل على حمل لواء هؤلاء الأعلام جميعا ، يطوف به في أرجاء العالم . ؟ طبعا بأساليب أخرى ، ولكن متواصلا مع تلامذة محمد بن عبد الكريم الخطابي ، الذين إقتفوا أثره في الميدان السياسي والعسكري ، أمثال تشي غيفارا وهل سيكشف السر عن قبر المهدي مثلما كشف النقاب عن قبر غيفارا ، ويعاد له الإعتبار باحتضان بلده لقبره ..؟ على كل حال ، إنصاف التاريخ لا بد منه ، وهؤلاء الأبناء الذين حرصوا على حماية الذاكرة التاريخية من التحطيم ، سيعرفون كيف يقيمون مؤسسات ومعالم ، للأبطال الذين لازال الحاضر لم ينصفهم بما فيه

وما يزيد من أهمية هذا الكتاب أنه استحضر التاريخ لينير الحاضر، ومن أجل أن يساعد على التقاط مفتاح المستقبل ، كيف لا وهو شاب مهموم بقلق الشباب على مستقبله ، حائر بحاضره ، عازم على طرق باب آفاق المستقبل . بهذا الإدراك استخلص العبرة من التاريخ ، واختار أن يكون محمد بن عبد الكريم النموذج ، لأنه كان حقّاً رائداً لجيله ، وبقي وفيّاً في سلوكه ، شاباً ، وكهلاً ، وشيخاً « من المهد إلى اللحد » وكأني بالشاب محمد خرشيش قد استحضر في جهده الموثق ، مخاطبة الشباب من خلال تقديمه نموذجاً مثاليّاً ، شَخَّصه عن جدارة تاريخ محمد بن عبد الكريم الخطابي وسلوكه وفّقه الله في جهده ليكون حافزا لمجموعة من المؤرخين ، لنفض الغبار عن تاريخ الشعب الذي مازال لحد الآن مجهولا عند جيل المستقبل ، لا يعرفه في المدرسة ، ولا في برامج التعليم ، ولا يعرفه في المحيط الإجتماعي ضُرب الحصار عليه في الوقت الذي فُتحت كل أبواب الإختراق بالوسائل السمعية البصرية ، والمكتوبة لتدمير الشباب . فما أحوج البلد لأمثال محمد خرشيش ، في التصدي لكل ما يشكل خطورة على انتماء وتاريخ وإرادة هذا البلد أتمنى له التوفيق ، وأتمنى تعزيز جهده بجهد كل المختصين والمخلصين من أبناء المغرب . ●

# محتويات الكتاب :

صفحة

- شعارنا الثقافي والإعلامي في محيط العمل والأسرة : «من أجل مجتمع مغربي قارئ».
- الأعداد السابقة من «سلسلة شراع» ، توجد تحت الطلب بوكالة شراع لخدمات الإعلام والإتصال : ( 137 شارع ولي العهد ـ طنجة ) .
- يمكن للقارئ إستبدال نسخته من أي عدد جديد يشتريه ، إذا كان به خلل ما في السحب بعد الطبع .

---

- لطبع ونشر الكتب بشكل أنيق وتكلفة أقل ، « وكالة شراع » رهن الإشارة .

## ● إصدارات «سلسلة شراع» : 10 دراهم

**العدد** 1 / **مارس** ( 1996 ) :

● المهدي المنجرة ـ « **حوار التواصل** »

**العدد** 2 / **ابريل** :

● م.ع المساري ـ « **المغرب بأصوات متعددة** »

**العدد** 3 / **ماي** :

● عبد الجبار السحيمي ـ « **بخط اليد** »

**العدد** 4 / **يونيو**

● مصطفى القرشاوي ـ « **قضايا راهنة** »

**العدد** 5 / **يوليوز** :

● نجيب العوفي ـ « **مساءلة الحداثة** »

**العدد** 6 / **غشت** :

● وكالة شراع ـ « **باهي .. الصحافي والمناضل** »

**العدد** 7 / **سبتمبر** :

● لحسن العسبي ـ « **اللذة والعنف** »

**العدد** 8 / **اكتوبر** :

● عبد الله كَنون ـ « **في اللغة والأدب** »

**العدد** 9 / **نوفمبر** :

● عبد الغني أبوالعزم ـ « **الثقافة والمجتمع المدني** »

**العدد** 10 / **ديسمبر** :

● قاسم الزهيري ـ « **قضايا وشجون** »

**العدد** 11 / **يناير** ( 1997 ) :

● العياشي أبو الشتاء ـ « **الباحة والسنديان** »

**العدد** 12 / **فبراير** :

● عبد الرفيع جواهري ـ « **أصحاب السعادة** »

**العدد** 13 / **مارس**

● حسن نجمي ـ « **الناس والسلطة** »

## ● إصدارات «سلسلة شراع» : 10 دراهم

**العدد 14 / ابريل :**

● الطيب بوتبقالت ـ **« عبد الكريم الخطابي »**

**العدد 15 / ماي :**

● عبدالقادرالعلمي ـ **« هاجس التغيير الديمقراطي »**

**العدد 16 / يونيو**

● المهدي بن عبود ـ **« عودة حي بن يقظان »**

**العدد 17 / يوليوز :**

● محمد الدغمومي ـ **« أوهام المثقفين**

**العدد 18 / غشت :**

● المفضل الحضري ـ **« ابن يسف : رائد الواقعية التعبيرية**

**العدد 19 / سبتمبر**

● محمد سبيلا ـ **« حقوق الإنسان والديمقراطية**

**العدد 20 / أكتوبر :**

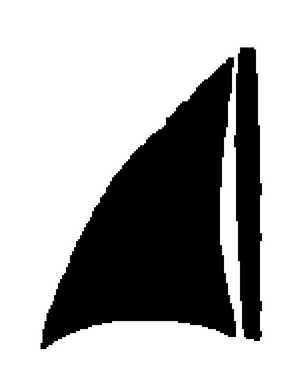
● بنسالم حميش ـ **« في الغُمَّة المغربية »**

**العدد 21 / نوفمبر :**

● محمد بنعبد القادر ـ **« حوارات في مساءلة الذات والغير »**

**العدد 22 / ديسمبر :**

● محمد خرشيش ـ **« المقاومة الريفية »**



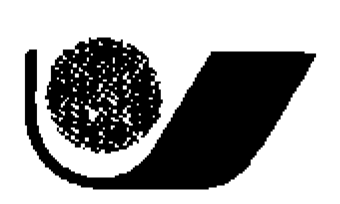
## جديد وكالة شراع :

○ بعد نجاح كتاب الشهر ، قريبا تَصدر كل شهرين عن « وكالة شراع لخدمات الإعلام والإتصال » ، السلسلة الجديدة من كتب

## « إبداعات شـراع »

خاصة بالشعر والمسرح والقصة والرواية ..

الطبع



دار النشر المغربية

edima اديما

التوزيع



الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة

sApress سبريس




مختبر فرز الألوان

4, Rue Al Jabha Al Wataniya
Tél. : (09) 37 22 50 / 60
Fax : (09) 37 22 60

رقم الإيداع القانوني :
1995 / 1043

# SERIE "CHIRAA"

LIVRE MENSUEL PUBLIÉ CHAQUE MOIS
PAR L'AGENCE CHIRAA POUR SERVICES
D'INFORMATION ET COMMUNICATION

DIRECTEUR DE LA REDACTION : KHALID MECHBAL
CONSEILLER ARTISTIQUE . AHMED BEN YESSEF

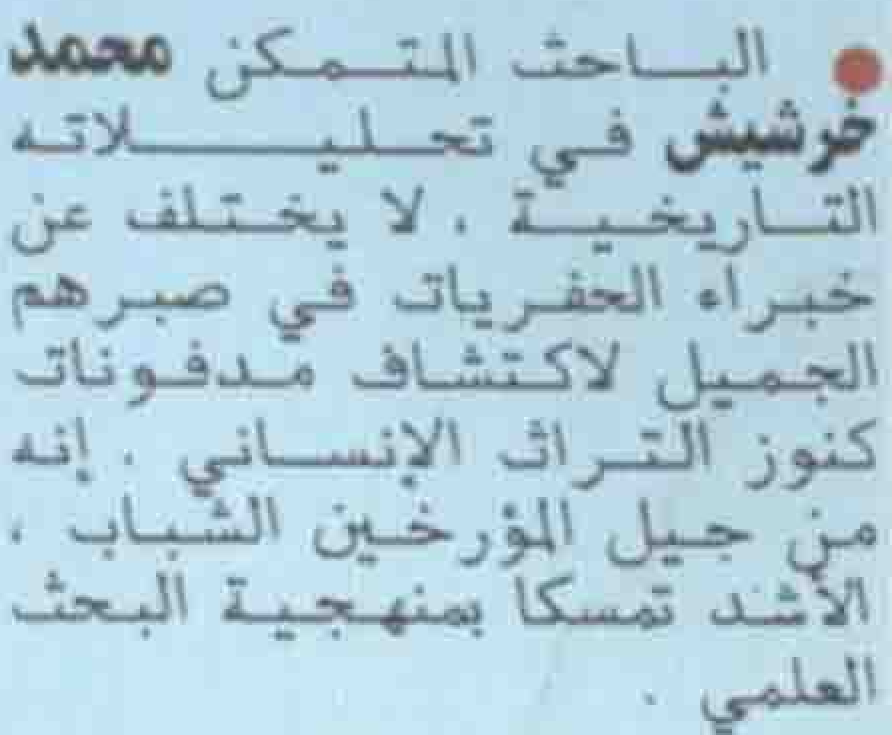
---

CENTRE DIRECTION
137. PRINCE HÉRITIER - TANGER
TEL 94.42.12
37.39.27
FAX 94.42.16

NUMERO 22 ème 30 RAJAB 1418 - DECEMBRE 1997



# المؤلف



- الباحث المتمكن **محمد خرشيش** في تحليلاته التاريخية ، لا يختلف عن خبراء الحفريات في صبرهم الجميل لاكتشاف مدفونات كنوز التراث الإنساني . إنه من جيل المؤرخين الشباب ، الأشد تمسكا بمنهجية البحث العلمي .

- بعد حصوله على الباكالوريا في تطوان سنة 1979 ، وحصوله على الإجازة في الآداب ( تخصص التاريخ ) بجامعة سيدي محمد بن عبد الله ( فاس ) سنة 1983، استحق الأستاذ **محمد خرشيش** دكتوراة التاريخ من جامعة ليون الفرنسية سنة 1989 ، ثم ديبلوم الدراسات المعمقة في العلوم السياسية من معهد الدراسات السياسية بليون سنة 1990. وهو حالياً استاذ مادة التاريخ المعاصر بجامعة عبد المالك السعدي ( تطوان ) .

- الدكتور **محمد خرشيش** شارك بمقالاته ومحاضراته في العديد من الصحف والمجلات والندوات بالمغرب والخارج .

- **محمد خرشيش** عضو فاعل في حزب الإتحاد الإشتراكي ، والنقابة الوطنية للتعليم العالي ، ومؤسسة محمد بن عبد الكريم الخطابي للدراسات والأبحاث .

**خالد مشبال**